

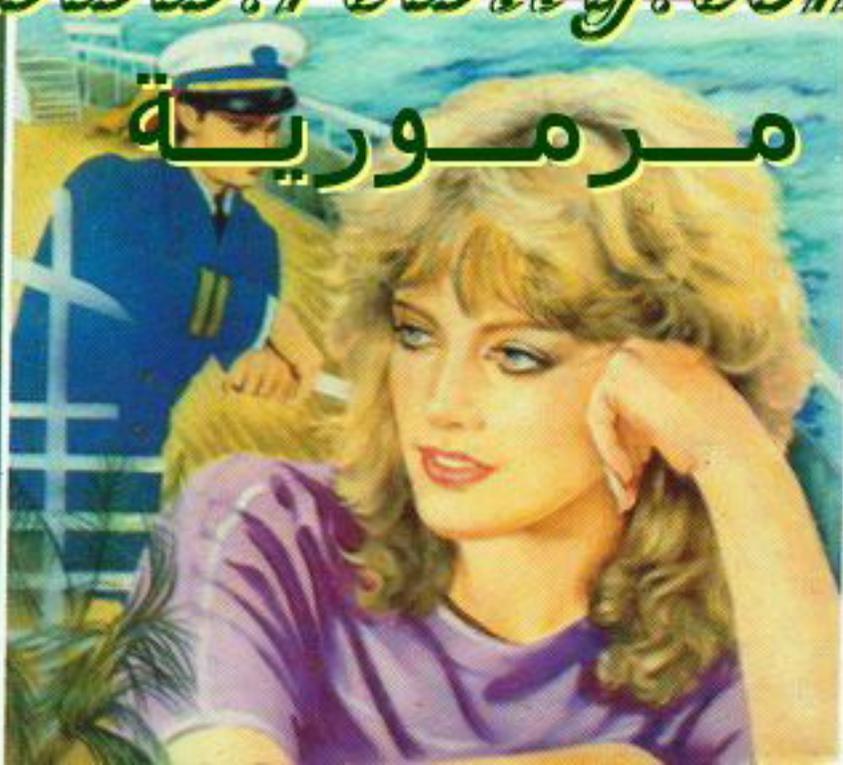
# روايات أحلام



## العمر العَبَّاء

[www.rewity.com](http://www.rewity.com)

مرمورية



# روايات أحلام

## العمر لعبة

كان تحدياً لا يقاوم.. خافت تامارا في البداية من دخول اللعبة، ولكنها عندما عرفت أنه لم تتردد.. فجيرالد رجل بلا قلب، ساحر للنساء، وطموح، يريد إغواء صديقتها المقربة ليليان ابنة حاكم الجزيرة وهدفه الزواج بها لكي يرضي طموحاته...

اتفقت الفتاتان على تبادل الهويات قبل أن تتعرفا إليه كي تلقناه درساً عندما يكتشف أنه تودد إلى الفتاة الخاطئة. ما لم تحسب تامارا حساباً أنها قد تقع في حب هذا الرجل...

لبنان ٢٠٠٠ ل.ل. الإمارات ٦.د. مصر ٤.ج. ليبيا  
سوريا ٥٠ ل.س. قطر ٦٠٠ ر. المغرب ١٥.د. اليمن  
الأردن ١.د. البحرين ٦٠٠ ف. تونس ١.٥.د. السودان  
الكويت ٥٠٠ ف. السعودية ١٠.ر. عمان ٦٠٠ ب. العراق

## ١ - الخدعة

كان الغسق دافئاً حميمياً يعبق بشذى الأزهار والطيوب حياً بدندنة الحشرات، حين لامست إطارات الطائرة أرض (بولاني) حيث كان الظلام قد بدأ يرخي سدوله بعد الغروب.

تدرجت الطائرة فوق مدرج شديد الإضاءة، لتتوقف على بعد مئة قدم من مبنى المطار الصغير الحديث جداً.

كانت الفتاتان الإنكليزيتان تبسيمان. تامارا، تبسم بلطف والعجب في عينها الرماديتين العميقتين. لكن بسمة ليليان، كانت تحمل كل حيوية وتألّق، فطبيعتها المفعمة بالبهجة تؤكد أنها زارت أمكنة كهذه من قبل، وتحبها.

وردت وهي تتنفس الصعداء: بولاني حبيبي، نحن هنا، لقد استغرقت رحلتنا وقتاً طويلاً جداً، لكن يخالجنى شعور بأنها تستحق العناء. نظرت بسرعة، إلى برج المراقبة المرتفع في السماء الباقوتية الزرقة، وقالت:

- أليس غربياً مدى التأثير الغربي في بحر الجنوب؟ لم يكن هذا ليظهر كثيراً في سنغافورة، لكنه هنا لا يصدق. تامارا، أرجو من كل قلبي أن لا تأخذي كل شيء بهذا البرود!

صحيح أن تامارا كانت تبدو شاحبة فعلاً ورابطة الجأش، لكنها في الواقع كانت تحس بنوع من الفوز لوصولها أخيراً إلى عاصمة جزيرة «توناك» التي يحكمها والد ليليان، السير همفري ميلوز. والتي كانت ملزمة بأن تقضي

فيها سنة مع ليليان، وهذا ما جعلها ترتجف قليلاً.. سنة في دار الحاكم، كصديقة لابنة الحاكم الجميلة.. فهل ستكون رسمية وتقلها الرتبة؟ هل ستلازم معها وهي موظفة المحاسبة في أحد مكاتب المدينة؟

لم تكن تامارا تتصور عالمها بدون ليليان.. فلقاؤهما الأول كان في مدرسة قرب «نورويتش» حيث أرسلت تامارا بعد موت أمها، تسير حزيناً وكأنها شبح صغير مما جعل ليليان تسخر منها وتنتعها بالمتزمتة الخرقاء، فهي في عمر لا يعرف معنى الشفقة أو تقدير الظروف الخاصة لطباع القادمين الجدد.. ولما بدت سخرية ليليان لا تستفز تامارا، لجأت ليليان إلى كل الحيل الطفولية الماهرة فيها لاستفزاز القادمة الجديدة وإثارة غضبها.. ولكن حين باءت جهودها بالفشل انفجرت بالبكاء ساخطة من نفسها.. كان من عاداتها أن تنتهي إلى البكاء حينما تشعر بالإحباط وتفشل كل جهودها، ولم يسر عنها سوى تامارا. وعلى هذا الأساس الغريب، ترسخت صداقتهما.

أنهت المدرسة معاً، وتحولت تامارا إلى كلية التجارة، بينما أمضت ليليان سنتين من السفر ذهاباً وإياباً إلى مختلف أجزاء أوروبا حيث أقامت علاقات غرامية عابرة، وكانت تفضي بها بالتفصيل إلى تامارا.

ثم وصلت رسالة من السير همفري، يقول إنه سيكون مسروراً لاستقبال الفتاتين في زيارة طويلة، خاصة وأن الأجواء هادئة الآن في جنوبي الهادي.. ويعتقد أن سنة تكفي، وتستطيعان احتمالها.

وكاد فرح ليليان بالخبر يصل إلى حد الجنون.. لكن فرح تامارا كان مشوباً بالخوف. فقد بدت لها الرحلة خطوة كبيرة، أن تترك عملها، وتستخدم مدخراتها القليلة لشراء ثياب تناسب تلك الرحلة. لكن، تأكيد ليليان عليها بالذهاب، وإصرار العمه هايزل وزوجها العم كليفس بأنها ستكون مجنونة لو فوتت على نفسها مثل هذه الفرصة، لم يترك لها الخيار، فليس هناك اعتراض واحد تعتمد عليه. وبما أنها في العشرين من عمرها فقط، ونفسها مليئة بالأفكار السعيدة، فقد انتابها شوق لهذه المغامرة.

انحنى رسمي أسمر يرتدي بزة بيضاء ويعتمر قبعة عالية لهما باحترام:

- آنسة ميلوز؟ آنسة فليشر؟ أرجو من لطفكما أن تأتيا معي من هنا؟ حيث الآنسة فيلدز في استقبالكما.

وصعدتا السلم دون استعجال خلف دليلهما، لتدخلا شرفة واسعة مضاءة جيداً حيث بضعة أشخاص يرتشفون الشراب المثلج. وتقدمت إلى الأمام امرأة شابة، ببذلة حريرية مفضلة، وقبعة صغيرة أنيقة. فنحدثت بصوت مرتن يحمل شيئاً من الاندفاع.

- كيف حالكما؟ من منكما ليليان؟

- أنا ليليان، وهذه تامارا فليشر، كيف حالك آنسة فيلدز؟

- نادني كارين. أخشى أننا لن نرى بعضنا طويلاً، فأنا مغادرة على هذه الطائرة، وليس هناك وقت للرسميات.. تفضلاً بالجلوس لتناول الشراب معي، أخشى أن تضطرا للانتظار قليلاً ليصل جيرا الد.

سألت تامارا:

- أليس من الأفضل أن امرر حقائبنا عبر الجمارك؟

لوحث الآنسة فيلدز بيدها قائلة:

- أنتما ضيفتا مقر الحاكم، وهذا ما يجعلكما مهمتين.

قالت ليليان: عظيم.. والآن.. ابن أبي، وكيف حاله؟

ضاقت عينا الآنسة فيلدز وهي تنظر إلى ليليان، التي بدت جميلة أنيقة في خصلات شعرها الأسود، وبشرتها العاجية، وفمها الممتلىء الأحمر، إضافة إلى أنها ابنة الحاكم. لذلك كانت لهجتها خفيفة مداعبة وهي ترد:

- إنه بخير.. لكن حظك خانك يا ليليان.. فلقد اضطر السير همفري للذهاب إلى جزيرة أخرى من أرخبيل «توناك» في مهمة ما. ستقيمان لوحكما في المقر لمدة أسبوع أو اثنين، هذا إذا كان من الممكن أن تكونا لوحكما بوجود دزينة أو أكثر من النخدم! وستكونان تحت حماية جيرا الد، بالطبع.

صاحت ليليان:

- أوه.. يا له من خبر مخيب للآمال! كنت أتشوق إلى جمع شمل مؤثر.. وها هو أبي قد أفسد علي كل هذا.

مالت إلى الأمام والتصق جناحا حاجبيها الأسودين:

- من هو جبير الد هذا . . أهو معاون أبي؟

- يا للسماء . . لا! جبير الد سومرفيلد هو رئيس المجلس الحاكم . .

المجلس التشريعي . . أصدقاؤه يدعونه اليد اليمنى للمسير همفري، لكن أعداءه يعتبرونه المتعصب المتحجر القلب في عمله.

لم تدر تامارا ما الذي دفعها للسؤال:

- وهل توافقين أعداءه الرأي؟

تأخرت ضحكة الأنسة فيلدز قليلاً ولم تكن طبيعية . . نظرت إلى وجه تامارا الصغير الواضح، بعينيها الرماديتين الصريحتين وشعرها الأشقر العسلي الناعم . . كانت فتاة صريحة ساذجة، فيها فتنة من نوع ما، لكنها أمام ليليان، بدت عادية . . إنها مجرد رفيقة لابنة الحاكم، ويمكن الاستخفاف بها على هذا الأساس.

قالت الأنسة فيلدز مخاطبة ليليان:

- أنت جذابة يا عزيزتي . . على أي حال والدك رجل وسيم . . ليس

كذلك؟ وجبير الد سومرفيلد جميل الطلعة كذلك، وبطريقته الخشنة، وبألددهشة إنه غير متزوج.

وأضافت بمرح وبصوت خافت:

- هل تحبين أحداً يا ليليان؟

فردت ليليان بابتسامة خبيثة.

- ليس في الوقت الحاضر . . جبير الد هذا قد يكون تريباقاً ضد السأم . .

لكن إذا كان رئيس المجلس، فأتوقع أن يكون مسناً.

قالت كارين فيلدز مبتسمة:

- في الثالثة والثلاثين فقط . . إنه فريد من نوعه . . رجل لا يقف عند

شيء ليحصل على ما يريد، لديه السلطة . . لكن ما يسعى إليه حقاً هو الحاكمة وزوجة شابة جميلة.

- يبدو غير مرغوب فيه أبداً!

- وهنا يكمن خطره . . لأنه غير هذا تماماً، فهو أذكى من أن يبدو غير

مرغوب به . صحيح أنه لا قلب له أبداً، لكنه يخفي قساوته بفتنته . . إنه من أكثر الرجال الذين التقيت بهم فتنة وأكثرهم غروراً وشيطانية! ولا يستطيع المرء إلا أن يكرهه . . مع ذلك كان طيباً فأرسلني إلى هنا في سيارته مع سائقه . . يريد التأكد من وجود من يستقبلك . . حيث عليه أن يرأس اجتماعاً للمجلس . . كان يأمل أن يكون هنا لدى وصول الطائرة . . لكن ما من أحد كان يعرف أن الطائرة ستصل باكراً . . لكنه سيأتي شخصياً لاصطحبك.

كانت تتكلم بطريقة عفوية حتى أن المرء قد يفهم أنها من النساء اللواتي يستهوين ما لا يستطعن الحصول عليه . . ولهذا فهي تبدو صريحة بشكل مكرر، لقد بدا أنها تسلي ليليان بيد أنها أثارت أعصاب تامارا.

أعلنت السماعرة بصوت خفيض أن على كل الركاب المتوجهين إلى ستغافورة التوجه إلى الطائرة خلال ربع ساعة . . فوقفت الأنسة فيلدز.

- أخذ علي جبير الد سومرفيلد عهداً أن أؤمتكما في زاوية خاصة في قاعة الانتظار فيما إذا وصلتما قبل وصوله . هل لنا أن نذهب؟

ابتسمت ليليان:

- لا تقلقي، سنعتني بأنفسنا إلى أن يأتي . . أظنه من الرجال الذين يقاخرون بأنهم يعيشون حسب برنامج محدد . . وأنا في الواقع أتطلع شوقاً إلى التعرف عليه.

فاتخذ وجه المرأة شكلاً خبيثاً نوعاً ما:

- ليس بقدر ما يتطلع هو للتعرف إليك يا عزيزتي . . ولسوف يركز كل اهتمامه عليك يا ليليان . . فرجل مثله، عليه أن يتزوج، وأن يكون زواجه

جيداً . . ليس لديه وقت لنساء لا مال لهن، ولا مركز . . وأنت ملائمة تماماً لطموحه.

- ما أعظم هذا! لكن هذا المخلوق البغيض قد لا يكون متناسباً مع طموحي.

- سيجعلك تؤمنين بعكس ذلك!

كان هذا شيء من التحدي بالنسبة ليليان، المستقلة الخالية من الهموم فقالت:

- ولسوف أغريه . . ثم أنبذه على مذبح الكنيسة .

أطلقت الأنسة فيلدز ضحكة حقودة صغيرة وقالت :

- أتخلى عن ثروة في سبيل أن أرى هذا يحدث له . . لو كان معي ثروة،  
لكان على الأرجح تزوجني قبل أن تصلي إلى هنا . . غير أن والدي ليس  
صاحب السعادة . . الحاكم . . في الواقع . . ما يحتاجه هذا الرجل هو لظمة  
كبيرة الحجم لغروره . . لكنني أشك في وجود امرأة تستطيع أن تفعل هذا  
له . .

نظرت إلى ساعتها، ثم أخذت حقيبة كبيرة، وقفازها، ووقفت  
وحدجت الفتانين بنظرة فيها أقصى الوقاحة وقالت :

- أتوقع أن تجتذبا العزّاب . . لكن، أصغي إلى نصيحتي يا ليليان،  
واظهري لجيرالد سومر فيلد مكانته بالضبط منذ البداية . . أعتقد أنه الآن وقبل  
أن يلتقي بك قد وضع خطة للزواج بابنة الحاكم .

ردت ليليان، وعيناها السوداوان تلمعان :

- أعتقد أنني سأفضل خطته! أنا سعيدة جداً للقائك يا آنسة فيلدز .

لم يكن هناك وقت للمزيد . . فحين رأت أن جميع الركاب المتوجهين  
إلى سنغافورة قد بدأوا يتوجهون إلى الطائرة، وأن الطائرة قد بدأت تستعد  
للتحرك . أحنت الأنسة كارين فيلدز رأسها مودعة بطريقة تدل على امتنانها  
بإنهاء عملها هنا، في «بولاني»، ثم اختفت متوجهة إلى العملاق الفضي . .

ولوحت تامارا وليليان للشكل الضبابي الذي ظهر في أحد النوافذ، ثم دخلنا  
المبنى الأبيض، وعبرنا أبواب متحركة إلى غرفة انتظار صغيرة مهجورة .

استرخت ليليان على أحد المقاعد المريحة قرب الأبواب الزجاجية،  
وخلعت قبعتها، لتمرر أصابعها من خلال شعرها الأسود اللامع . . ثم قالت  
بصوت منخفض متأمل :

- هذا الرجل، جيرالد سومر فيلد، يبدو لي الرجل العايب الصاحب  
الساحر .

ردت تامارا :

- لو أنه هكذا لما تعاون والدك معه . . وليس عندك سوى رأي الأنسة

فيلدز ضده .

- وكم تعرف هذه المرأة عن الرجال! على أي حال، ما الذي ستكسبه  
من تصويره أكثر سوءاً مما هو عليه؟ إنه حيوان، حسناً . . أنا ممتنة لتحذيرنا  
قبل أن يبدأ باستخدام فتنته . . فأنا بلهاء سريعة التأثر!

- وماذا ستفعلين لو حاصرَكَ؟

- لست أدري . . لكنني أرغب في إرقاصه على عقبيه .

فكرت تامارا :

- يبدو لي أنه ليس من العدل الحكم على شخص قبل معرفته . . على  
الأرجح أن الأنسة فيلدز متحاملة عليه . . لأنه لم يتأثر مطلقاً بجمالها . وقد  
تكون محقة بوصفه بأنه متمسك بمستقبله العملي، لكن ما الذي يجعلها واثقة  
من أنه بنوي استغلالك في خطته المستقبلية؟ فالرجل لم يرك بعد!

- أعرف عن الرجال أكثر منك يا عزيزتي، وأنا أعرف تماماً ذلك النوع  
الذي يتزوج المال والمستقبل الزاهر . . الحاكم عادة يوحى بخليفة له،  
والسيد سومر فيلد، سيرغب كثيراً في مضاعفة تأكده من إرادة أبي الطيبة  
نحوه، بأن يصبح صهره . .

برقت عيناها بمرح مفاجيء وهي تتطلع بمرح إلى تامارا من وراء  
الطاولة :

- لدي فكرة ممتازة . . سنلقن السيد سومر فيلد، الرجل القوي، درساً  
لن ينساه . . تامارا، حبيبتي، ستكونين أنت ليليان!

حدقت تامارا بشدة في وجه ليليان المتألق لمدة دقيقة وهي مشدوهة إلى  
أن فهمت أنها فعلاً تعني ما تقول، فردت ببيات :

- لن أكون هكذا أبداً . . إذا كان صحيحاً أن السيد سومر فيلد بنوي  
الزواج بك . . بإمكانك صده بطريقتك الخاصة . .

فقاطعتها متوسلة :

- أوه . . لكن أصغي إليّ . . من المفترض أن نبقى هنا سنة كاملة، ولا  
يمكن أن أتحمّل الرجل كل هذه المدة . فإذا أوقفته عند حده منذ البداية يمكننا

المضي في التمتع بوقتنا . إضافة إلى هذا . . سيكون من الرائع أن نغشه .

-رائع لمن؟

-لنا معاً يا حبيبي، أنت وأنا.

-انحنت فوق الطاولة وهي تحبك المؤامرة باهتياج:

- سنقدمك له كليبان، وأنا تامارا. . . ولسوف يندفع نحوك بكل ما يستطيع. . . وبعد بضعة أيام، حين نرى أننا اكتفينا، سنقول له الحقيقة. . . وكم ستكون قبلة بالنسبة للسيد جيرالد. . .! بعد ذلك، لن يجرؤ على تحويل اهتمامه نحوي.

-ردت تامارا بحزم:

- يا فتاتي العزيزة. . . ألا تدركين أن هذا الرجل قد يكون شاهد صورة لك؟ ثم. . . قد يوجد من يتعرف إليك.

- لن يكون هناك أحد، فأنا لا أعرف إنساناً في «بولاني» وأبي ليس لديه صورة واحدة جديدة لي. ليس من النوع الذي يعرض صور عائلته على أي حال. . . لو حدث وخمن، سنعترف له، لكنني لا أعتقد هذا. . . أتريين، سيتوقع من ابنة الحاكم أن يكون عندها روح الإحساس بالمسؤولية، وهذا ما عندك، وأنا لا أملكه، ثانياً، سيتوقع شخصاً واسع الثقافة والذكاء، وهذا مرة أخرى، أنت وليس أنا. أنا واثقة أننا سنستطيع المحافظة على الادعاء لأسبوع تقريباً. . . وهذا كل ما يلزمنا. . . وافقي. . . يا حلوتي.

-تدليل ليليان الناعم اللهجة، كان يذيب أكثر القلوب برودة. لكن تامارا التي اعتادت على الاستسلام لرغبات ليليان من قبل، لم تتأثر كثيراً. . . بل قالت:

-لن تنجي بفعلتك هذه. . . على أي حال، حين تُعرف الحقيقة قد تتسبب بما هو غير مرغوب.

-لكن الرجل ذكي وفائن. . . كما قالت الآنسة فيلدز. . . أكثر ذكاء من أن يبدي سوء الخلق لابنة الحاكم أو صديقتها. . . مهما أصيب غروره بأذى. . . على الأرجح سيضحك. . . إنها مجرد نكتة يا تامارا.

-جزء من تامارا، كان يرغب بكل تأكيد في المشاركة في مخطط ليليان، لتعليم رئيس المجلس الاستشاري لجزر توناك، أن الزوجة الغنية الجميلة

الشابة، لا يمكن الحصول عليها بسهولة، خاصة إذا كانت ابنة السير همفري ميلوز. . . لكن ما تبقى منها كان يشكك في قدرتها على الانضباط. . . لن تتمكن من تدارك أخطاء قد تفضحها.

-كانت على وشك أن ترد على ليليان حين تقدم منهنهما المضيف الذي قادهما من مدرج المطار، عبر غرفة الانتظار، والحنى لهما:

- أرجو عفوكم فضايط الجمارك يرغب منكما أن تعرفا عن حقائكما.

-قالت تامارا: سأذهب أنا.

-ولحقت به إلى الباب.

-قطعت الدهليز الصغير، لتخرج إلى الهواء الدافئ المغري. أشار المضيف إلى مدخل قاعة الجمارك التي كانت على بعد يقارب العشر ياردات ثم اختفى.

-لم يكن معهما الكثير، وساعدها الضابط المسؤول مع مساعديه حتى أنها عادت إلى الخروج خلال دقائق، لتتوقف قليلاً لكي تنسم هواء الليل الغريب الجذاب. . . ما عدا أصوات الحشرات البعيدة، كان الليل هادئاً. . . وهذا ما جعلها تلتقط بوضوح صوت أنين بدا لها قادماً من مكان ما هناك، قرب جدار مبنى المطار القائم. فنحرت نحو الصوت، وانحنت فوق قنص صغير من الخيزران يقبع في داخله جرو حزين، مررت تامارا اصبعيها من بين عيدان الخيزران متحسرةً أنفه الحار الجاف. . . إنه بحاجة إلى الماء والقليل من العطف. . . فانتزعت القضيبي القصير الذي يؤمن إغلاق باب القنص، ورفعت الجرو بين ذراعيها. . . ولم تكذب مستقيم حتى قال لها صوت حاد من ورائها:

-لن أفعل هذا لو كنت مكانك!

-شلت اللهجة القاطعة حركتها للحظات حتى أنها بقيت دون حراك، ثم استجمعت شجاعته وأكملت استقامة جسمها ببطء. . . ولم تتمكن من رؤية وجه الرجل، بل مجرد حدود كنفه العريضتين، ورأسه الأسود الشعر. . . لكنها أحست بفضاظة مزعجة في لهجته، حين تكلم مجدداً، وبحزم:

-أظنك لا تعرفين أن الكلاب التي تأتي بالطائرة من الخارج يجب أن تمر

بفحص طبي وفترة من الحجر الصحي .  
أخذ الجرو منها بحزم وبلطف وأعادته إلى قفصه حيث بدأ الأنين المقطع  
للقلب من جديد . تدرجت تامارا من الذهول إلى الغضب فصاحت :  
- يا لهذا الروتين ! لا بد أن المسكين الصغير عطشان وجائع أيضاً . ومن  
غير الإنسانية تركه هنا يعاني .  
رد عليها الرجل ، الذي بدا دون شك أنه المسؤول عن المطار ، بيروود  
متعمد :

- لو كان هناك ما يكفي من ضوء ، لشاهدت وعاء ماء في مؤخرة  
القفص . وليس من الحكمة إطعام كلب بعد رحلة جوية مباشرة . . وسيكون  
على ما يرام .

- ولكنه محجوز منذ وصوله ، ويحتاج إلى الحركة !  
- لا تدعي أن مصير الكلب يقلقك . . فتحن لم تفقد أي حيوان بعد  
بالرغم من أن الروتين متشدد جداً !

- إذا كانت قوانينكم وعاداتكم تفرض سجن حيوان أبكم ، فيجب أن  
تتغير . . الحجر الصحي للكلاب لم يعد ساري المفعول ، إلا إذا كانت قد  
أنت من بعيد . . إنها في هذه الأيام تتلقى الحقن الواقية مثلها مثل البشر .  
ساد صمت قصير . . ثم سألتها بشيء من السخرية :

- هل سافرت كثيراً في بحر الجنوب ؟  
- لا . . لكنني أحب الكلاب ، وأكره أن أرى واحداً محجوزاً دونما  
سبب .

لا بد أنه لم يسمع سوى إنكارها السفر ، لأنه قال ببساطة :  
- في البلدان الاستوائية ، لا يمكن المخاطرة بأي نوع من الإصابات .  
وإذا كانت قوانيننا الرجعية تزعجك ، فأنا آسف ، لكننا لن نغيرها . . أقدر لك  
اهتمامك بالجرو . . لكن يجب أن تعترفنا أننا نعرف مصلحتنا أكثر منك . إذا  
كنت سائحة ، ومتجهة إلى الفندق أقترح عليك الاتجاه فوراً إلى التاكسي . .  
ليلة سعيدة .

انحنى الرأس الأسود الشعر بأدب ، ثم استدار صاحبه على عقبيه . .

ولأنها كانت غاضبة لم ترغب في سلوك الاتجاه نفسه ، فدارت حول المبنى  
إلى أن وصلت الأبواب الزجاجية حيث لا زالت ليليان جالسة ، تدخن  
وتتصفح مجلة .

رفعت الصديقة رأسها ، وعقدت حاجبيها الأسودين .  
- تبدين محمّرة الوجه . . هل وجدت مشكلة مع الحقائق ؟ . . أنا سعيدة  
جداً لوجودك معي للتعامل مع كل التفاصيل .  
ما إن جلست حتى عادت إلى طبيعتها ، وسرعان ما عادت ليليان إلى  
بحث خطتها :

- لقد وافقت يا تامارا . . أليس كذلك؟ سيكون من الرائع أن نظهر لذلك  
الرجل كم سيكون مهماً بالنسبة ليليان ميلوز . . أليس كذلك؟  
لكن تامارا كانت تفكر أن هناك العديد من الرجال بحاجة لأن يتعلموا  
درساً !

لكن ، عندما كان جيرالد سومرفيلد الطويل الرشيقي يدخل من الأبواب  
المتحركة ، قاصداً التوجه إليهما ، كانت لا تزال غير متأكدة في داخلها ،  
ومرتبكة . وقفت ألياً لتنضم إلى ليليان . تراقب الخطوات الرشيقة الطويلة ،  
والارتفاع المتفاخر لرأسه وقسماته القاسية . . أنف متعجرف ، بعكفة بسيطة  
من منتصفه ، عظام خدين محددين تماماً ، تلتف عليها البشرة بشدة ، وفم  
منحوت فوق ذقن مدبب . . كان في بشرته سمرة داكنة غريبة ، تجعل المرء  
يلاحظ بسرعة عينين فولاذيتين زرقاوين . . قال بصوت عميق لطيف :

- هل لي أن أقدم نفسي . . جيرالد سومرفيلد ، نائب السير همفري في  
هذه اللحظات ، أنا آسف جداً لأنني لم أكن هنا لاستقبالكما . . وكنت  
سأتمكن من هذا لو بقيت الطائرة محافظة على موعد وصولها . . هل  
شاهدتما الأنسة فيلدز؟

غمزة تحذير جعلت تامارا تبتلع الجفاف المفاجيء في حلقها ، وتمكن  
من رد فوري :

- أجل ، شكراً لك ، كانت لطيفة جداً . . ونحن لم ننتظر طويلاً في  
الواقع .

أحدث صوتها بريقاً مفاجئاً في عيبيه . . . وللحظات تصاعدت صورة الجرو المهجور بينهما . . . ثم ابتسم . . . يبدو أن ما من موقف لا يستطيع هذا الرجل التعامل معه .

- إذن أنت الأنسة ميلوز . . . أنا مسرور لمعرفتك .

واستدار إلى ليليان الواقفة وعيناها إلى الأسفل :

- كيف حالك آنسة فليشر . . . أظن أنكما ستشعران براحة أكثر في المقر .

وبعد انتهائه من المقدمات تولى الأمر قائلاً :

- سأوصلكما إلى هناك فوراً . ستحتاجان إلى وجبة طعام هادئة ثم الراحة . أتسمحان أن تأتيا من هنا؟

كل شيء أنجز بنعومة وهدوء . الحقائق وضعت في صندوق سيارة رمادية ضخمة، وبناء على اقتراح ليليان، جلست في المقعد الخلفي، بينما جلست تامارا لأنها ابنة الحاكم المزعومة، في المقعد الأمامي العريض، إلى جانب مرافقهما . وانطلقت السيارة في الظلمة .

شعرت تامارا باستغراب، ولم تساعد معرفتها أن ليليان تجلس في المقعد الخلفي في التخفيف من توترها . بدا الرجل في بذلته الرمادية الفاتحة، الخالية من العيب، عظيمًا ومؤثراً . وانطلاقاً من التبادل القصير للحديث معه في العتمة، لم تكن لتظن أن بالإمكان خداعه لفترة طويلة . وبعد أن لاحظته بنظرات جانبية بدا لها كما وصفته كارين فيلدز تماماً .

قال فجأة بحادثتها :

- لا بد أن الأنسة فيلدز شرحت لك بأن السير همفري استدعي إلى جزيرة بعيدة . . . وكان كارهاً أن يسافر قبل وصولك . لكن المسألة كانت ملحة، ويجب تسويتها على الفور .

قالت تامارا بحذر :

- أنت مساعد الحاكم . . . أأست كذلك؟

كانت نظرتة إليها حادة وفيها شيء من السخرية :

- كلنا مدرّبون منذ أيام الكلية يا آنسة ميلوز . . .

- هذا ما أظنه . . . ومتى من المتوقع أن يعود السير همفري؟

- بعد أسبوعين . . . إذا لم يؤخره شيء . . . وليس من السهل عليه الاتصال بنا . . . لكنني سأرسل له رسالة أخبره أنك وصلت بأمان .

نظر من فوق كتفه إلى ليليان، ثم أعاد نظرتة إلى تامارا قبل أن يعيدها إلى الطريق أمامه .

- طلب مني الحاكم أن أكون وصياً عليكم خلال غيابه . . . فأرجو أن لا تمنعنا لو وجدتما أيامكما هنا مخططة سلفاً . . .

ردت ليليان بعدوية :

- هذا ما فهمناه . . . ومن المنعش أن نكون تحت الوصاية كنوع من التغيير .

انزلت تامارا بشكل مذهل في خطة ليليان، وتقصصت شخصيتها بسهولة، ونظراً للثقافة تقبل الرجل لهويتها المزيفة، كادت بكل بساطة، تصدق نفسها بأنها تلك المخلوقة المدللة ليليان، لو لم تكن ليليان تحتل المقعد الخلفي .

استدارت السيارة بهما في منعطف حاد، لتظهر «مونيغ» أمامهم . مجموعة مناثرة لا شكل لها من الأضواء، تتوقف فجأة عند بحيرة متصلة بالبحر .

أشار جيرالد :

هناك . . . حيث تبدأ الأنوار بالتلاشي، خلف البلدة، يقع «كالاباهيل» ،

يمكنك مشاهدة جدران المقر في وضوح النهار . . . وفي ليال خاصة نجعله يشع بالأنوار .

سألت ليليان بلهجتها المشيرة اللطيفة :

- أوليست هذه . . . ليلة خاصة؟

ضحك باختصار . . . فاضطرت تامارا إلى تذكير نفسها أن هذا هو الرجل

الساحر الشرير الأناني، الذي يتوقع أن يتزوج ابنة السير همفري، ليتمكن من احتلال المقر بنفسه . . . وأدركت أنه يعي تماماً مدى سحره على النساء . . .

ودونما سبب كرهته لهذا .

- الأضواء الساطعة تجعل أهل الجزيرة يأتون أفواجا، وأنا واثق أنك لا تريدن مواجهة هذا في هذه الليلة . مساء الغد سيكون مناسباً، ولقد حضرت لكما حفلة عشاء .

كان المقر قرب قمة التلة، منزل ضخم أنيق له أعمدة بيضاء، من طابقين وشرفات مسقوفة، مع تراس مرصوف واسع يمتد حول المنزل .

لم نحاول أي من الفتاتين قول شيء وهم يستديرون للدخول . أوقف جيرالد السيارة عند أسفل سلم نصف دائري، وخرج على الفور ليساعد تامارا وليليان على النزول . ثم تحدث بعض جمل مختصرة مع خادم خرج من الباب بسرعة، وأشار إلى الفتاتين نحو الردهة وتبعهما إليها، وهو يقول :

- حضرت لكما غرفتي نوم . . إنهما متصلتان بباب داخلي، وتطلان على الحدائق والبحيرة . . جوزيه سيوصل حقائبكما، ويحضر لكما الحمام . بإمكانكما الثقة به . . ولدى الطباخ تعليمات بأن يقدم لكما عشاء جيداً، لكن أخشى أن لا يكون جاهزاً قبل الثامنة . . على أي حال إذا اجتمعا إلى شيء من الطعام الخفيف، سيحضره لكما جوزيه .

هزت تامارا رأسها، لكن قبل أن تقول شيئاً، تمتت ليليان وبأدب أكثر من اللزوم :

- ربما يرغب السيد سومرفيلد بكلمة معك على انفراد يا ليليان . . سأصعد إلى الغرفة فوراً وأفرغ الحقائب .

من بين أحاسيس ممتعة مختلفة تملكك نفس تامارا، كان الأشد إمتاعاً منها منظر ليليان وهي تفرغ الحقائب بوقار . . ! وشدت على شفتيها لتمنع ابتسامة . . بينما قال جيرالد: ليلة سعيدة آنسة فليتشر .

ردت ليليان بخبث :

- نادني تامي . . الجميع يتناديني هكذا .

ثم سارعت تصعد السلم ركضاً . بابتسامة، استدار جيرالد نحو تامارا .

- لصديقتك روح مرحة . . أليست كذلك؟ أخبرني الحاكم أنكما مزيج

نادر . . فتاتان تحبان بعضكما حقاً . . وأعتقد أن هذا سيبه أنكما مختلفتان .

- ربما يعود ذلك إلى أننا نعرف بعضنا منذ زمن طويل . . ولا نزعج

إحدانا نفسها بعيوب الأخرى .

التوى فمه سخريه وقال :

- هذا إنجاز عجائبي، بالنسبة لسنكما . . وهذه فرصة مناسبة لي لأقول إن زيارتك إلى هنا مرحب بها . . وأعترف أن السير همفري حين ذكر أنه يبحث ما إذا كان مناسباً استضافتك، شجعتني على ذلك . . - الأجله؟

- بل لأجلنا جميعاً . ليس هناك مانع من أن يكون المرء سعيداً أثناء قيامه بالواجب قدر المستطاع . وكنت أعرف أنك في عمر يسمح لك بخوض تجربة جديدة . . وأنا أعتقد أنك ستواجهين العديد من التجارب الجديدة في 'بولاني' .

التقطت أسنانها داخل شفتها وهي تنظر بعيداً . كانت على وشك أن تصيح : 'ربما سيكون لك منها تجربة أو اثنتين!' يجب أن تكون شديدة الحذر مع جيرالد سومرفيلد . . وفي تلك اللحظة أعطت مشروع ليليان الصغير، يوماً من الحياة .

رفعت رأسها لتلتقي بنظرته الزرقاء . . وقال بجفاء :

- أتريدني أن أعذر لتوبيخي لك حول الكلب . . وظني بأنك مجرد سائحة؟

ردت بحرارة :

- ليس إلا إذا كنت تشعر فعلاً بالأسف!

في تلك اللحظة صدح جرس الباب الرئيسي برنين موسيقي، فتقدم ليفتحة بعد أن اعتذر اعتذاراً سريعاً . فدخل شاب أشعث الثياب إلى الردهة وانفجر يقول محموراً :

- يا إلهي! أنا مسرور لأنني وجدتك يا سيدي . . الرجل الذي حكمت عليه بالترحيل بالأمس يرفض الصعود إلى العبارة . . والقبطان يقول إنه يجب أن يخرج إلى البحر مع هذا المد .

- حسن جداً . . بما أن ضابط الشرطة غائب، سأعطيك مذكرة رسمية . . مونيغ ليست جنة للفاسدين، وسأواكب بنفسي ذهابه ولو

اضطرت إلى حمله إلى السفينة بنفسه .  
لم تكن كلماته التي جعلت تامارا تحلق به مذهولة ، ولا كانت طريقته السلطوية . . بل كان تحوله إلى الجلابد الخالي من الرحمة ، وبسرعة البرق .  
عاد إليها ووجهه مبتسم ، مع أن عينيه كانتا باردتين . . وكأنه بدأ بمهمته فعلاً :

- كان يومك متعباً . . ويجب أن ترتاحي بعد العشاء مباشرة . وأرجوك ، لا تحاولي التفرج على المقر قبل الغد . هناك أربع حراس حول الحديقة ، لذلك لا حاجة للخوف . . وسأنتصل بك . عمت مساء يا آنسة ميلوز .  
ردت عليه وصعدت السلم فوراً . وسمعت الباب يقفل بحزم ، بعده هدير السيارة ، وانطلاقها السريع وهو يخرج بها من الطريق الداخلية للمنزل .  
من الغريب أنه بوصول تامارا إلى الممر الأعلى ، لم تكن تفكر في الوضع غير العادي الذي دفعها ليليان إليه . . بل كانت تشعر بالإشفاق على رجل لن تعرفه أبداً ، على ذلك «المفسد» الذي لن يجد له ملجأ في أي جزيرة تقع ضمن نفوذ جيرالد سومرفيلد .  
هكذا ، لم تكن آسفة البتة لموافقته على المساعدة في تلقين تلك القوة الفولاذية الساحقة ، درساً لن ينساه .

\*\*\*

## ٢ - خدمة صغيرة

بزغ الفجر صافياً براقاً فوق الجزيرة . المنازل البيضاء الجصية بسقوفها القش كانت مدفونة بين الأشجار الاستوائية الملونة الأوراق وأشجار النخيل . . وحده مبنى المقر كان بارزاً ، فله طابقان وقبة جميلة في أحد أطرافه تغطي شرفة مرتفعة ضخمة .

اكتشفت تامارا القبة المستديرة بعد ساعة من استيقاظها وأخذت تسير ببطء وسعادة حولها ، تنتعم بجمال الأراضي المحيطة بالمقر والمرتببة ترتيباً رائعاً ، ومن ورائها بدت كثافة الغابات الخضراء ، وخلفها الأشجار المتأرجحة كالأمواج المتلاطمة . . هذه الجوهرة المتعددة الألوان إذن . . هي . . بولاني !

عادت أدراجها عبر الرواق المتقن بلوحاته الرسمية ، إلى غرفتها الواسعة المربعة الشكل ، الموثثة بالخشب المذهب ، المتلائم مع لون الستائر والسجاد ، الأخضر والعاجي . . كانت ليليان هناك ترتدي ثوب نوم من الحرير الزهري ، تجلس على مقعد من النسيج المطرز ، تستخدم مبرد أظافر . . وقالت بمرح:

- مرحباً . . لماذا أنت مستيقظة وترتدين ثيابك في مثل هذه الساعة؟  
- كل شيء يبدأ باكراً في البلاد الاستوائية . . ألقيت نظرة من هذه الشرفة ، وكنت راغبة برؤية المزيد . . ليليان ، إنها أجمل جزيرة في العالم !  
- طبعاً هي كذلك . . ولا تناديني ليليان . . بإمكانك أن تنالي حظوة جيرالد نفسها وتناديني تامي .

وضحكت بخيبت . فردت تامارا وهي تقف قرب السرير :

- كدت أنسى كل هذا . يبدو لي سخيلاً في وضع النهار ، أليس كذلك؟  
ردت ليليان بنشاط :

- مطلقاً . ما رأيك بالنذل؟ هل هو فائق القوة؟

- قليلاً . لكنني أعتقد أننا عرفنا قياسه . فقد ساعدتنا الأنسة فيلدرز .

لكن لن يكون من السهل خداعه ، أتعرفين هذا؟ .

- أعرف . . وهذا ما يجعل الأمر أكثر إثارة ، ويساعدنا كثيراً . بكل  
بساطة ، يجب أن نستمر!

أطرقت تامارا ، ولدهشتها سمعت نفسها تقول :

- إنه واثق جداً من نفسه حتى أن المرء يشعر باندهاش ليحبط مشاريعه . .

مع ذلك أشك في أن تكون هذه هي الطريقة الصحيحة!

صاحت ليليان ، ترمي المبرد إلى حقيبته تامارا الصغيرة المرتبة ، حيث  
أخذته ، ومددت ذراعها مسترخية :

- إنها مؤكدة النجاح يا حبيبتي . . كوني لطيفة معه ، واحرصي على أن  
تكوني في أجمل ما يمكن ، اجعليه يعرف أن فيك كل شيء يريد ، أعطه

ابتسامات خجولة من عينيك الرماديتين ، ابقي شفقتك ناعمتين مغربتين . .  
ولا تترددي أن تلامسه بخفة الريش بأصابعك بين حين وآخر . . املائي نفسه

بأعجاب صامت بحظه الطيب . .

تنهدت بسعادة :

- أكاد أتمنى لو أنني مكانك الآن . . لكنك زعزعت كيانه!

ضحكت تامارا . . ليليان على حق . . كانت ستتمكن من التعامل مع هذا  
الموقف أكثر منها . إنها تعرف كل الحيل في اجتذاب الرجال وجعلهم

يشغفون بحبها . . والتفكير بالعواقب لا يجعلها تتردد في قرارها ، فدائماً  
كانت تأتي العواقب سليمة!

وحين أعادت التفكير بالأمر في وضع النهار ، ودون عواطف ، لم  
تستطع تامارا أن ترى كثيراً من الضرر في خداع صغير كهذا . وهناك بالتأكيد

شيء مكروه في هذا الرجل الذي ينظر إلى الزواج كمجرد مفتاح ذهبي

لمستقبله . . وقالت :

- من الأفضل أن أنزل . جاء لي الخادم برسالة مفادها أن سكرتير أليك

سيكون هنا في التاسعة ، والساعة الآن تجاوزت التاسعة بعشر دقائق . . على  
فكرة ، ماذا أقول للسكرتير؟

- ما تشائين يا حلوتي . . لك الإذن الكامل أن تكوني . . أنا!

ضحكت ليليان ثانية ، ووقفت تتجه إلى الحمام لتستحم .

نظرت تامارا إلى نفسها في المرأة ، ومن دون سبب رفعت ياقة فستانها  
الأيض إلى فوق . شعرها الفاتح اللون كان كثيفاً مجعداً حول رأسها ، وهذا

ما ساعدها كثيراً .

سارت عبر الممر لتنزل السلم الضخم إلى الردهة ، حيث كانت  
مجموعة ضخمة من الزهور الحمراء الداكنة والصفراء تتدلى من وعاء

نحاسي واسع يكاد يخفي طاولة سوداء جميلة النقوش . . وظهر أمامها خادم  
في زي أزرق وذهبي ليلغها بصوت مرتّم وإنكليزية طليقة أن السيد إيلتون

ينتظر في المكتبة . . فحضرت نفسها ودخلت الغرفة التي أشار إليها .

خرج السيد إيلتون من خلف الطاولة . . كان رجلاً نحيلاً في أواسط  
الأربعين . . لونه يميل قليلاً إلى لون الزنجبيل . وقدم نفسه :

- كلنا سعداء بوجودك هنا آنسة ميلوز . . وأنا شخصياً ، سأكون سعيداً  
جداً لخدمتك بأية طريقة أستطيعها ، أتمنى أن تتذكري هذا .

- أنت لطيف جداً . . ولا أظن أن هناك الكثير يمكنك أن تفعله لنا . يبدو  
أن كل شيء من احتياجاتنا قد تم الاهتمام بها .

- حسناً . . إذا فكرت بشيء ليس متوفراً ، دعيني أعرف . .

لمعت فكرة في خاطرها ، وقالت متحدية :

- هناك شيء أرغب به كثيراً . لكنني لست واثقة أن بإمكانك تنفيذه لي .

لو أنها ترددت ، لما حققت رد فعل أسرع ، وفوري . . فقد أصبح فجأة  
متوتراً جامحاً ، وشهماً بشكل لا يصدق .

- سأفعل ما بوسعي لأجل ابنة السير همفري ، آنسة ميلوز .

- آه . . لكن هذا لا علاقة له بالمقرر . . يا سيد إيلتون .

- وإن يكن . . فقد أتمكن من مساعدتك .

ترددت قليلاً ثم أكملت :

- حسن جداً . . ربما يكون هذا سخيلاً . لكنني شاهدت ليلة أمس وأنا في المطار جرواً في قفص وقد تُرك لوحده في الظلام . . جاء من سنغافورة، كان يبدو حزيناً . . ولست أدري لمن هو . .

- لكنني أعرف . . إنه هدية لزوجتي الكولونيل كايل . . إنها مقعدة قليلاً . لكنها لن تحصل عليه قبل أسبوعين .

- أسبوعان ! وماذا سيحدث له خلال هذه المدة؟

- سيبقى في المطار للفحص الطبي .

- لكن، أيجب أن يبقى طويلاً هكذا؟ فالجراء تخاف، كما تعلم .

- لدينا غلام يعنتي بالحيوانات . . البيطري يعيش في محطة الأبحاث التي تبعد ثلاثين ميلاً من هنا . ولن يحضر إلى مونينغ قبل عشرة أيام . ولن يستغرق فحصه أكثر من عشر دقائق . ويجب أن نحصل على شهادة الطبيب قبل إطلاق الكلب من الحجر الصحي .

فكرت قليلاً، ثم سألت :

- ألا تستطيع إرسال المسكين إلى البيطري؟

فقال بارتباك :

- حسناً . . إن هذا ممكن، لكنه مخالف للأصول . . سأتحقق من الأمر يا

آنسة ميلوز . . سأفعل ما بوسعي .

- أتمنى منك هذا .

فيما بعد، وهي تجوب أنحاء المقر، فكرت أنه من المخيف والمفرح معاً أن تكون زوجة للحاكم، وأن تدير مؤسسة ضخمة كهذه . . زوجة السير همفري مينة منذ سنوات عدة، ولا بد أنه استنبط نظاماً يتمكن من خلاله العاملون عنده من إدارة كل المناسبات الرسمية . . لكن الخبرة في التنظيم، لا يمكن أن تحل مكان المرأة في إدارة منزل كهذا .

في الرابعة من بعد ظهر ذلك اليوم، تلقت تامارا وليليان زائرتين . . إحداهما زوجة الطبيب والأخرى زوجة وكيل شركة لب جوز الهند . .

كلاهما متوسطة العمر، مع الاحتفاظ بحبوبة الشباب، ولطيفتان . . والسيدة ماكتافش، زوجة الطبيب، كانت تميل إلى السمعة، إلا أنها كانت الأكثر ثرثرة .

قالت، ونظرها ينتقل كالعصفور من وجه جذاب صغير إلى آخر :

- طلب منا جيرالد زيارتكما . . ونحن من ضيوف حفلة العشاء الليلة .

لكنه اعتقد أن من الأفضل لكما معرفة البعض منا مسبقاً .

بحذر، ردت تامارا :

- نحن مسرورتان بلقائكما . . لكن . . هل ستقام حفلة العشاء هذه

الليلة؟ لقد فهمت أن السيد سومرفيلد سيكون المضيف .

- طبعاً ! ومن غيره قادر على أن ينوب عن والدك؟ لقد نظم كل شيء . .

سيكون هناك اثنا عشر ضيفاً للعشاء، ثم نعود إلى منازلنا في العاشرة والنصف .

قالت تامارا بسرعة :

- أعتقد أن علي الاتصال به هذا المساء .

قالت السيدة ماكتافش تنصحها :

- لا تزعجي نفسك، نفي بأنه قد رتب كل شيء . . أخبرينا كيف هي

الأحوال الآن في انكلترا . فنحن لم نزر الوطن منذ سنوات .

كان هذا موضوع حديث آمن، وبالنسبة للضيفتين ساحر وجذاب .

وكانت الساعة تقارب الخامسة والنصف حين رحلت المرأتان .

قررت تامارا أن ترتدي بذلة حفلات كوكتيل خضراء فاتحة اللون، بينما

ارتدت ليليان فستاناً مقصباً أبيض اللون، لا حمالات له . وشهقت تامارا

إعجاباً بالفستان حين التقتا خارج غرفتيهما في تمام الساعة والنصف . .

لطالما بدت ليليان لذيدة مهما كان اختيارها لما ترتدي، وكم تعرف ما

يناسبها تماماً . . والليلة، تركت العقد الألماسي الذي اشتراه لها والدها لعيد

ميلادها الواحد والعشرين منذ بضعة أشهر بأسف . . وقالت تواسي نفسها :

- لا يهمني كثيراً . . سيكون لدي وقت كثير لأرتديه، حين يكون أبي

هنا .

نظرت إلى تامارا من عليائها وقالت :

- تبدين صغيرة وحلوة في اللون الأخضر . . ولا بد من وجود من سيحُبُّ لأجلك في (مونينغ).

ردت تامارا :

- كم أتمنى لو تنسين الرجال لفترة . . فأيدينا مشغولة بجيرالد سومرفيلد بما يكفي .

ضحكت ليليان ، وبوصولهما إلى قاعة الجلوس ، لم تزعج نفسها بالرد ، فجيرالد كان هناك ، يرتدي بذلة بيضاء صافية ، ورأسه يلمع بشعره الأسود تحت الأنوار الساطعة وأسنانه شديدة البياض ، وهو ينسم تلك الابتسامة الساخرة وينحني ، قائلاً بلباقة :

- مساء الخير يا سيدتي . . لا يبدو لي من العدل أن يكون لشابتيين مثلكما كل هذا الجمال والنضارة ، ومع ذلك تحتفظان كل باستقلاليتها . . كيف تفعلان هذا؟

جاء الرد طبعاً من ليليان :

- كل الأشياء الشابة تبدو جميلة نضرة يا جيرالد ، لكن الفرق بين ليليان وبينني ، أن لها العقل المفكر وأنا لا أملك سوى الفطنة الفطرية . وأنا لا أمانع في هذا ، فمن الملائم لي أن أعتبر نفسي غبية قليلاً . . أحياناً يعطيني هذا مجالاً للضحك سراً على بقية الناس . . إذا كنت تريد تقديم الشراب لنا ، فأنا أرغب في الأناناس .

فهم قصدها ، وأشار إلى خادم ، ثم سأل :

- كيف قضيتما الوقت هذا اليوم؟ هل أعجبتكما السيدة فايفل والسيدة ماكتافش؟

ردت تامارا :

- كانتا لطيفتين جداً . . تحدثنا لأكثر من ساعة . . من غيرهما سيكون هنا هذا المساء؟

أجلسهما في مقعدين من الحرير المطرز ، وأعطى كل منهما كوب عصير ، قبل أن يرد :

- إضافة إلى المرأتين وزوجيهما سيكون هناك ايلتون وزوجته ، مسؤول التعليم وزوجته ، وضابط شاب من الحامية . . فلقد اعتقدت أن الآنسة فليتشر قد يكون لها ميل للجيش .

لمعت عينا ليليان وهما ترسلان رسالة إلى تامارا ، وكأنها تقول : هاك . . لقد خصصك لنفسه ! وقالت : كم أنت محق !

وصل أول الضيوف ، وما هي إلا بضع دقائق حتى توافد الباقي . الرجال ببذلات بيضاء أو بيج ، والنساء في فساتين حريرية أو قطنية غير رسمية .

الضابط الشاب ، الذي كان بطول جيرالد ، لكنه أكثر امتلاءً . كان يخفي الكثير من جمال طلعه تحت شارب ضخم ، فاضطرت ليليان لأن تتمم بأنه كان على جيرالد أن يحضرها له . . فقد كان رهيباً . .

غاص قلب تامارا قليلاً ، بينما كان جيرالد يقوم بتقديمها . . فالادعاء بأنها شخص آخر أصبح ضاغظاً عليها ، وهؤلاء الناس يبدون ودودين جداً ، وتواقين لجعل الحياة في بولاني تبدو مثيرة لابنة الحاكم وصديقتها ، حتى أنها تمننت لو أنهم يعجبون بها لشخصها فقط .

بعد دقيقتين بالضبط ، أعلن جوزيه بدء العشاء ، فسارع السيد ايلتون ليتنحى بتامارا جانباً ويقول همساً :

- لقد أرسلت من يختبر الأمور يا آنسة ميلوز . . وأظننا ستمكن من إرسال الكلب إلى مركز الأبحاث .

- أوه . . كم أنا مسرورة لهذا . . شكرًا لك .

ثم أخذت ذراع الطبيب ليدخل بها إلى مائدة الطعام .

كانت الوجبة هادئة حميمة . كل من كان يحضرها ، ضيوف دائمين للمقر ، يتصرفون براحة جعلت تامارا تسترخي . . كانت تعي سيطرة جيرالد الجريئة على الحديث . . كان صديقاً للجميع ، مع ذلك بقي متباعدًا عن الجميع .

قدمت القهوة والمرطبات على التراس . وسرعان ما تحركت ليليان وصاحب الشارب ، ليتمشيا في الحديقة . . وتهادت الموسيقى من إحدى النوافذ ، لكنها لم تكن مرتفعة بما يكفي لتغطي على الحديث . . وفي العاشرة

والنصف تماماً توقفت . . وكان هذا إشارة كانت السيدة ماكتافش الأولى في تليبتها .

تبدلت التمنيات بليلة سعيدة . . وتسلمت السيارات إلى خارج الطريق الداخلية للمنزل ، كلها ما عدا سيارة الضابط سمولود الذي كان قد انطلق بها مع ليليان منذ أكثر من نصف ساعة ، بعد أن قررا أنها ليلة رائعة للتزفة . كانت ليلة أخرى من الليالي التي ينشر فيها عطر الياسمين الفتنة ووضع جبر الدبده وراء مرفق تامارا ، ليقترح :

- إذا لم تكوني متعبة ، فلتنمشي قليلاً .

كانا على مسافة بعيدة عن الأضواء حين سألته :

- أتعجبك حقاً منطقة بحر الجنوب ، أم أنك تكيف نفسك فيها؟

مرت لحظات قبل أن يرد ، ويبرود :

- لهجتك عداية . . فهل في شيء ما يزعجك؟ لاحظت هذا أكثر من

مرة ، وأتساءل ما هو؟ أنا أحب أي مكان أعمل فيه . في مثل عملنا ، يهتم المرء بالناس ومشاكلهم . . لكنني واثق أنك لا ترغبين مطلقاً في سماع محاضرة عن عملي ، ولاكون صادقاً ، أحس بالأسى لإضاعة ليلة كهذه في موضوع حديث مضجر .

خفق قلبها . فهي لم تتوقع مثل هذه الملاحظة منه . ليس بعد على أي حال . لكنها تمكنت من الرد بهدوء :

- حسناً . . أود شكرك كثيراً على ترتيب كل شيء الليلة .

- إنه واجبي .

نظرت إليه نظرة جانبية سرية . كان ينظر إلى الأمام ، إلى الممر الذي تحده الشجيرات المزهرة ، وشاهدت جانب وجهه ، الذي يبدو على الدوام متكبراً . والغم المبسم قليلاً وكأنه يبتسم لأفكار خاصة . . ثم قال دونما اكتراث :

- على فكرة . . بعد رؤيتي انزعاجك الشديد بخصوص الجرو في

المطار ، تدبرت أمراً قد يرضيك . لقد أرسلنا الكلب بالسيارة هذا الصباح إلى البيطري ، وتفحصه ليجدده في حالة جيدة ، وأعيد إلى هنا بعد الظهر ، ولسوف

تضعه السيدة كايل في سلة التي حضرتها له هذه الليلة . . وما كنا نستمكن من فعل هذا لو أنه جاء من انكلترا لكن لأنه جاء من سلالة لها شهادة في سنغافورة ، تمكنا من تحريك الروتين قليلاً .

سألت بابتهاج :

- وهل فعلت هذا لأجلي؟

- لا أحد سواك . . فالسيدة كايل كانت قانعة بالانتظار لأسبوعين أو

ثلاثة .

أبطأ خطواته قليلاً ونظر إليها ، وقال :

- أتعلمين . . أنت لست كما توقعتك تماماً . . لم يكن والدك يذكرك

دائماً ، لكن من التفاصيل القليلة تصورتك بشكل مختلف .

فسألت ببرود :

- حقاً؟ وهل خاب أملك؟

- لا . . لكنني أصبت بالحيرة قليلاً . . أتعلمين أن والدك تواق لأن

بزوجك؟

تفصد عرق خفيف من صدغي تامارا ، لكنها أبقت صوتها ثابتاً وهي

ترد :

- الآباء هكذا . . لكنني لا أريد الزواج بعد .

- أفهم هذا . . فأنت لا زلت صغيرة جداً .

لم تعجبها اللهجة التي استخدمها . بل الواقع أنها أحست بأنه يعرف كل شيء ويحاول الانتقام منها . . هل يحاول أن يدفعها للاعتراف بأنها ليست صغيرة جداً للزواج؟ هل يمكن أن يكون قد اكتشف أنها وليليان تبادلنا الشخصيات ، وصمم على الحصول على استفادة خاصة؟ كانت واثقة أنه قادر على هذا ، وهذا ما أثار أعصابها ، مع ذلك ، فقد تذكرت في الوقت المناسب ، أن رجلاً مثله لا يمكن أن ينسجم إلا مع شخص دماغه نظيف ، وتفكيره سليم . . وقررت أن ترد عليه ، كما كانت ستفعل ليليان بلا شك :

- أوافق معك . . أنا صغيرة جداً ، إضافة إلى هذا ، أنا غير متأكدة أبداً

أنتي سألتني الحب لشخصي فقط . . وهذا لوحده يكفي لأن نكره أية فتاة أن

وتنهدت بأسى . . لكنه ضحك بمرح :

- ألم يتبادر إلى ذهنك أن ابنة رجل عظيم قد لا تكون «لقطة» كزوجة؟  
فكري فقط بما سيضطر صهر السير همفري ميلوز أن يعيش لأجله!  
كانت على وشك القول لكنك ستتدبر أمرك جيداً . . ومع الوقت  
ستتفوق على السير همفري نفسه . . لكنها رفعت نظرها إلى الوجه الوسيم  
الرائع الذي تشد الابتسامة أطراف فمه، وأحست مرة أخرى أنه يرى داخل  
نفسها . . ولم ترد .

عاد جبرالد إلى التحرك . حين تكلم ثانية، كانت لهجته متغيرة .

- أنسدين لي خدمة آنسة ميلوز؟ أريد أن تتصادقي مع شخص لا أصدقاء  
له . . إذا شئت . . لم يمر عليها وقت طويل هنا وهي في موقف تعس، أنا  
وائق من قدرتك على مساعدتها في تحمله . . أنفعلين هذا؟  
لسبب ما تصلبت :

- أخبرني المزيد عنها .

- اسمها فلورا بوكسهول، وتعيش مع أخيها في مزرعة متصلة بمونينغ .  
الأخ واحد من الشبان المستهترين المقامرین، ولا يستقر في عمل محدد .  
وفلورا متعلقة به وتفعل ما بوسعها لتبقية محترماً . . لكن لسوء الحظ، ولعدة  
أسباب، هذا الأخ ليس محبوباً من الجيش ومن المسؤولين الحكوميين . .  
وبسببه لا تحظى بحصتها من الدعوات الاجتماعية . . وإذا شئت، بإمكانك  
إسعادها .

تراجعت عنه قليلاً . . ومدت يدها تقطف زهرة عن الشجيرات حولهما :

- أتريدني أن أدعوها إلى المقر؟

- ليس بالضرورة، مع أن لا ضرر من دعوتها للعبة تنس . . وما إن تدرك  
بقية النساء أنك مستعدة للقبول بها ضمن دائرتك، سيتنافسن على إشراكها  
في حفلاتهن .

أنهى كلامه ساخراً :

- وهذه هي سلطة ابنة الحاكم !

لم تسأل لماذا تكون صداقتها مع فلورا بوكسهول جميلاً لصالحه . .  
لكن، لا شيء منع هذا السؤال من الطواف في رأسها . . ولو كان هذا ممكناً،  
لكرهنه أكثر . .

قالت :

- حسن جداً . . سأرى الآنسة بوكسهول . . والآن، لنعد إلى المنزل،  
بدأت أتعب .

وهما يسيران ارتفعت يده مجدداً إلى مرفقها، لكنها تحركت جانباً في  
الوقت المناسب لتجنبها . . فجأة انقضت عليهما ليليان، مقطوعة الأنفاس  
بارقة العينين وقد أشعث الهواء خصلات شعرها الأسود ونفخ تنورتها  
البيضاء .

- مرحباً هناك! لقد أمضيت أجمل نزهة . . يا له من رجل رائع، هذا  
الضابط . . يا له من رجل! أكنتما تتشاجران . . أم تتعانقان؟

نظر جبرالد إلى تامارا وقال باقتضاب حازم :

- لا شيء من هذا . . ليلة سعيدة لكما معاً . . سأتوقع حضوركما للعشاء  
غداً .

وهو يتعد فوق العشب إلى حيث تقف سيارته أطلقت ليليان نفساً طويلاً  
مذهولاً . . واستدارت إلى تامارا التتمتم :

- حسناً . . لدى جبرالد هذا مشاعر مكبوتة على أي حال . . حظاً سيئاً يا  
حبيبتي . . أخبري ليلى بالأمر .

- لا شيء . . لقد خطوت برشاقة لأجنب نفسي الوقوع . . هذا كل  
شيء .

ارتفع حاجبها السوداء وان : كل شيء ! . .

سارعت تامارا في سيرها إلى المنزل ووصلت إلى السلم عبر الردهة،  
وأخذت تصعده راكضة . . لم تكن تريد التفكير بجبرالد أكثر من هذا  
الليلة . . أو حتى بفلورا بوكسهول .

### ٣ - شيء من الغيرة

حياة ليليان لا تعرف الرتبة أبداً، فهي في صباح ما، تستيقظ حينما تبدأ البغاوات الصغيرة تنقر انعكاس صورتها على زجاج النافذة. . بينما في صباح آخر تبقى مندسة بين الأغصان، تغفو بكسل، أو تقرأ كتاباً. كانت سيدات «كالاباهيل» ينظرن إلى ليليان. . تامارا فليتشير بالنسبة لهن. . كفتاة وقحة، لكنها ليست خطيرة أبداً.

أما تامارا. . ليليان ميلوز بالنسبة لهن. . فقد كانت مختلفة، طبعاً. . كانت أكثر هدوءاً، وابتسامتها عميقة ولطيفة. . وتنبعث من أعماقها إشراقة ودودة. وهذا ما جعل السيدة ماكتافش تقول لصديقاتها الحميمات، إن ابنة الحاكم شخصية لها مستقبلها، ويستطيع الجميع التأكد من ذلك عندما يلاحظون دفتها في اختيار كلماتها قبل أن تنفوه بها.

الواقع، أن تامارا، وقد غاصت في الخدعة لإرضاء ليليان، وجدت نفسها مضطرة أكثر فأكثر لتوخي الحذر. . فمن عادة زوجات الرسميين، تناول شاي الصباح في منزل إحداهن، ومن الطبيعي دعوة الفتيات. . وبما أن ليليان كانت تنظر إلى مثل هذه الدعوات بضجر، فقد اضطرت تامارا أن تذهب لوحدها يوم السبت.

مر العشاء ذلك المساء في منزل جيري دون حدث يذكر.

في الصباح التالي، وباندفاع متهور، قررت المبادرة للتعرف إلى فلورا بوكسهول. . كان يوم أحد والجو هادي جداً في «كالاباهيل» مع أن الكثير من الفتيان المالويين كانوا يعملون كالعادة في الحدائق.

كانت ليليان قد خرجت باكراً لركوب الخيل مع الكابتن سمولود، لذلك، قررت تامارا، مع شيء من الخوف الداخلي، أن تطلب سيارة توصلها إلى مزرعة بوكسهول.

سارت بها السيارة صعوداً في طريق نصل «مونيغ» بالقرى الموجودة حول الساحل. والتي تكتظ على جانبيها أنواع مختلفة من أشجار النخيل، مرتبطة ببعضها البعض بنباتات معترشة قوية. خفف السائق من سرعة السيارة قبيل مفترق ضيق غلقت على مدخله لوحة تشير إلى منزل عائلة بوكسهول. قالت مجيبة على سؤاله:

- أجل. . أريد الذهاب إلى المنزل.

بدأ لها وكأنه مندمر من طلبها، وقد زال استغرابها لتذمره عندما عرفت السبب، فعلى السيارة أن تقطع طريقاً طويلاً حتى المنزل فوق الصخور والغبار.

كان المنزل من قصب الخيزران قائم على ركائز مرتفعة عن الأرض. . والستائر من أغصان النخيل، التي يقصد منها الحماية من الشمس والمطر، كانت معلقة دونما استخدام. وكانت تنمو حول الركائز أعشاب ضارة من مختلف الأنواع. أما درجات السلم فكانت متآكلة. . قاومت تامارا رغبة قوية للهرب للحظة قبل أن يراها أحد. . إلا أن اللياقة وحسن التصرف، حضّاهما على الصمود فترجلت من السيارة على مضض، لتصعد الدرجات الرقيقة، وتقرع الباب الوافي من البرغش.

انقضت نصف دقيقة قبل ظهور طيف شاحب لامرأة عبر الثقوب الدقيقة للباب الذي انفتح لتري فلورا بوكسهول واقفة يحيط بها إطار من عتمة الغرفة ورائها.

كانت الفتاة طويلة بيضاء البشرة. . شعرها الناعم المسترسل الأحمر البني، يحيط بجبين أبيض تبدو تحته رموش سوداء، تنير عيني لوزيتين مائلتين إلى الأصفر الذهبي. . وكان فمها الصغير الأحمر يتسم بقلق.

قالت، بعد نظرة سريعة إلى السيارة:

- أنت ليليان ميلوز. . أخبرني جيري أنك قد تتصلين بي. . لكنني واثقة

أنه لم يفكر بأنك ستزوريني . . أترغبين في الدخول؟

تحت جانباً، ومدت يدها تدعوها للدخول:

- أنا أبقى الستائر مغلقة دائماً، لأن المكان كثير الغبار. أعطت الشركة الإذن لأخي ببناء مسكن حجري، لكنه لم يفعل حتى الآن.

قالت تامارا وهي تغوص في المقعد المريح التي أشارت إليه فلورا:

- أنت تعيشين في بقعة جميلة جداً . .

سألت فلورا:

- أحقاً تعتقدين أن المرأة يمكن أن تكون سعيدة في مكب نفايات مخيف

كهذا؟

نظرت حولها إلى الأثاث المهترء المغبر، فالتوى فمها اشمزازاً

وقالت:

- هذا المكان أكره من أن أستطيع التعود عليه، بعد أن عشت في شقة لها

خدمتها الخاصة . . أنا معتادة على أن أحصل على كل شيء بطريقة متمدنة

لائقة . . لكن ريك، لا يهتم بشيء أبداً.

فتشت بين كومة من المجلات فوجدت علبة سكاثر وعلبة ثقاب . .

وأخذت تتحدث وهي تشعل السيكارة وكونت تامارا صورة حادة عن فلورا

وشقيقتها. ريك، كان الابن المثالي الكسول، لأب كسول مثله. عمره الآن

ثمان وعشرون سنة، ولخمس سنوات كان ينتقل من عمل إلى آخر، في بحر

الجنوب . . وهذا المركز الذي يشغله الآن، هو أفضل ما حصل عليه، لكن

فلورا فهمت من رسائله إليها في الوطن، أنه مستعد للتنقل مرة أخرى،

والداهما مطلقان، وكلاهما متزوج مرة أخرى . . لذلك كان ريك هو كل من

لها في هذا العالم. لذلك قبضت أجر ستة سلفاً للشقة، وجاءت إلى هنا

لتكتشف أنها لن تستطيع إصلاحه.

- مضى على وجودي أكثر من شهرين الآن، ولم أستطع التأثير عليه

مطلقاً . . نحن نحب بعضنا، كما كنا دائماً، لكنني لا أملك ما يلزم من قوة

لتغيير رجل لا يحبه الناس هنا.

قالت تامارا بهدوء:

- الأمر صعب عليك . . وأنا معجبة بشجاعتك، خاصة وأنت مضطرة أن

تكوني لوحدة . . وإلى هذا الحد.

ضحكت فلورا ضحكة خشنة مشيرة للشفقة:

- هذه ليست شجاعة حقيقية . . وما كنت سأتحمل الإقامة هنا لشهر

واحد، لولا جيرالد سومر فيلد.

- أوه . .

ولم تزد . . فجاءها الرد الناعم:

- تعرفين كيف تجري الأمور . . تجددين نفسك وقد استنفدت قدرتك

على التحمل، ثم يظهر من يقول لك إنك محقة وبشجعك . . وهكذا

تتابعين . . وفي حالتي، كان هذا الشخص هو جيرالد.

- وهل . . ساعدك؟

- لم يقصر في شيء لكلياً. له طريقة خاصة تدفع كل الحواجز جانباً . .

قد تسمعين الناس يدعونه بالقاسي الذي لا يرحم . . وهكذا هو مع ريك . .

لكنه لطيف جداً معي.

نفضت رماد سيكارتها وسألت بعفوية:

- أمن أجل إرضاء جيرالد جئت إلى هنا هذا الصباح؟

حقاً! لأجل إرضاء جيرالد؟ إلى ماذا تلمح؟ أيمكن أن تكون تشير

إلى . . لا . . بالطبع لا! مع ذلك فهناك شيء محير في هذه الشابة . .

ربما شعرت فلورا بتغيير في تعابير تامارا، فلم تنتظر رداً . . وسيطرت

على ارتجاف شفيتها وهي تقول:

- أنا ممتنة جداً لك لهذه الزيارة . . إنه أفضل شيء حدث لي منذ وجودي

في 'بولاني'.

وقفت تامارا، لتطفىء سيكارتها وهي تشعر بمزيج من المشاعر. لم

تكن تنوي أن تكون الزيارة مختصرة . . واتجهت بنصف خطوة إلى الباب

وقالت بمرح:

- الآن وقد التقينا، يجب أن نصيح صديقتين . . عرفت أنك تلعبين

التنس . . فهل يمكن أن تأتي للعب معاً بعد ظهر الأربعاء؟

- شكراً . . سيسعدني ذلك . . وأنا آسفة لرحيلك المبكر .

عادت تامارا من زيارتها لفلورا مرهقة وتتمنى أن لا تعود إلى ذلك المنزل أبداً . . من الطبيعي أن تشعر بالأسى على فلورا . . فمهما كانت الفتاة متعلقة بأخ عديم التدبير، فالعيش معه بدون أمل بإصلاح وضعه، أمر مرهق . . خاصة وأنه يعاشر أصدقاء مشبوهين ويخرج معهم بشكل دائم . . لكن، هل ما تقوم به فلورا تجاه أخيها له قيمته؟

لم يتوقف شعورها بالانزعاج إلا حينما وصلت إلى المقر . . كان الوقت لا زال مبكراً، فأخذت تتجول في غرف المقر الكبيرة . . تتأمل اللوحات بإعجاب . معظم المنزل كان مفروشاً بدوق رفيع، لكن من المحتمل أنه بخلافه زوجة حاكم لزوجته حاكم آخر، اكتسبت الأجنحة اختلافاً ظاهراً في الأذواق . .

جلست في غرفتها تسطر رسالة للعممة هايزل . . لكن قبلا عممتها الصغيرة الإنكليزية الطراز، كانت بعيدة جداً . . وعمتها كذلك بعيدة جداً ببساطة عيشها عن هذه الأرض الاستوائية بنموها وطموحاتها، حتى أنها أحست أنها من المستحيل أن تكتب شيئاً من قلبها .

كان المنزل لا يزال صامتاً حين اغتسلت ونزلت إلى الطابق الأرضي . في غرفة الجلوس الصغيرة، كانت قد ربت في ذلك الصباح باقة من أزهار «المانبوليا» . فتوقفت أمام الطاولة الصغيرة الموضوعية قرب الأبواب الزجاجية للشرفة تلامس رؤس الأزهار البيضاء الباردة . الهاجعة بين أوراقها الجميلة الداكنة . .

أظلم المدخل . . فاستقامت . ثم شذت قبضتها إلى جانبها دون وعي منها . . ابتسم جيرالد ابتسامة تقييم، وقال :

- اللون الأزرق يناسبك . . وهذا اللون بالذات يعطي الغموض لعينيك . . هناك واقع غريب في العيون الرمادية هو أنها تستطيع أن تكون الأصفى والأكثر سحراً .

أشاحت بوجهها عنه :

- نعم؟ وكيف هي في هذه اللحظات؟

- إنها محجوبة . .

- ربما يخفي الحجاب فراغاً .

- لن أصدق هذا . . فأنت تفكرين كثيراً .

دخل الغرفة، ونظر إلى الأزهار، ثم انتزع واحدة منها ليدسها في عروة باقة سترته . . ثم أكمل :

- بما أننا سنخرج في نزهة بعد الظهر، اعتقدت أنك ستقدمين لي الغداء .

تحركت بعيداً عنه لتجلس قائلة :

- نسيت أننا سنخرج معك . . ألا يمكن التأجيل؟

- أيعني هذا أنك تفضلين أن لا تقدمي لي الغداء؟

ردت بخشونة :

- لا . . لكن شريكتي خرجت مع «صاحب الشارب» . . وستعود متعبة .

تقدم ليقف على بعد أقل من يارد من مقعدها :

- لا . . لن تكون متعبة . . فزميلتك المشرقة لا تهتم بنفسها ولا تتعب . .

وأرجو أن لا تكون تنوي الزواج من سمولود، فلديه فتاة تنتظره في انكلترا . . ما كنت لأجمع الاثنين معاً لو أنني فكرت أنهما قد يصبحان جديين في علاقتهما .

- لن تزوج من الكابتن، إنها تتصرف معه كما تتصرف مع أي رجل يستهويها . .

فابتسم وقال :

- إنها تعيش حياتها كما تشاء . . أليس كذلك؟ لن أندش لو أنها تعلقت

بشباب جدي لا يتحمل الكثير من العبث .

ساد صمت صغير قبل أن يسأل :

- لماذا ترغبين في إلغاء نزهة اليوم؟ أمضايقه أنت من الحرارة؟

- ليس كثيراً . . لكن التفرج على المناظر الطبيعية بحاجة إلى مزاج

خاص . . وأنا لست في هذا المزاج الآن .

لحظة خرجت منها الكلمات عرفت أنها قالتها بحرارة وسرعة . لكنه

رفع حاجبيه، ورد ببرود:

- حسناً جداً. . . فلتترك الأمر هكذا. . . فهو لا يستحق الغضب.

استدار نحو الأبواب الزجاجية، وأسند جسمه على المدخل، ناظراً بكسل إلى الحديقة.

غضبت تامارا من نفسها. . . فهي لم تنفجر يوماً هكذا في وجه رجل. . . لكن هناك شيء في جيرالد كان يثيرها إلى أبعد الحدود. . . تنهدت وقالت:

- هل لي بسيكارة أرجوك؟

فتح علبة السكاثر، وانحنى نحوها يشعل الولاعة، فوضعت السيكارة بين شفتيها، لتلامس أصابعها أصابعه، وتجدها باردة ثابتة. . . وبدلاً من النظر إليه، أخذت تنفوس بتفاصيل يديه السمراء القوية. . . دون إرادة منها قالت:

- زرت مزرعة بوكسهول هذا الصباح.

قرب الولاعة إلى سيكارتته، وقال:

- هذا ما قاله السائق لي حين وصلت. . . لم يكن هناك حاجة لهذه الزيارة. . . رسالة صغيرة كانت تكفي. . . ذلك المنزل مخيف أليس كذلك؟ لكن ريك يرفض المساعدة. . . وفلورا لن تتركه. . . إنها مخلصه. . . تستحق الأفضل. . . كيف سارت الأمور معها؟

- بشكل جيد. . . مع أننا لم نقض وقتاً طويلاً معاً. ستأتي لتلعب التنس بعد ظهر الأربعاء. . . وربما ترغب أن تأتي أنت أيضاً؟

التفت نصف التفاتة ينظر إليها، وقد ارتسمت على فمه علامة السخرية:

- شكراً. . . سأفعل إن استطعت. . . أتريدين مني الرجيل الآن؟

نسيت أن هذا هو الرجل الذي صممت أن تلقينه درساً، ونسيت اتفاقها مع ليليان، ولم تعد ترى سوى ابتسامة ساخرة محببة، ولمعان المرح في عينيها فولاذيتين زرقاوين، وستة أقدام من رجولة نشيطة حية. . . جعلها تحس أنها امرأة رغماً عنها. . . فوجدت نفسها تقول دون إرادة منها:

- بكل تأكيد يجب أن تبقى للغداء، وسنخرج للنزهة. وأنا آسفة لأنني كنت فظة قليلاً. . . لكنني كنت أحاول الكتابة إلى الوطن، فوجدت أنه ليس هناك ما أقوله.

هز رأسه متفهماً، وجلس في منتصف أريكة زهرية اللون، غير بعيد عنها. . . وقال:

- وهكذا الرجال أيضاً. . . أنا لا أطيل المدة للذهاب إلى انكلترا. . .

- هل نشأت كفرع من عائلة في انكلترا؟

- معظم الوقت. . . كان لنا مزارع قصب سكر في «الانديز» وكنا نذهب إلى هناك ثلاثة أشهر في السنة.

- أنتم؟

- في تلك الأيام كان لي أخ أصغر مني. حين أصبحت المزارع لي فعلت ما اتفقنا على فعله معاً وهو أنني قسمت الأملاك بين العمال المحليين.

- كان لك حياة مشيرة إذن. . . ولا بد أنك كنت ناجحاً في كل شيء.

- ما عدا أنني لم أتزوج حتى الآن.

ردت بخفة:

- ربما. . . لكنك ستفعل هذا يوماً. . . مع أن هناك قولاً يقول إن الرجل الذي لا يحب زوجة قبل سن الثلاثين، يصبح من الصعب إرضاءه.

لم يحاول نفي التصريح، بل أخذ منها سيكارتتها ليطفئها في المنفضة، بعنف متعمد. . . وقال:

- فكري كم ستكون تلك المرأة محظوظة. . . ستعرف أنها الأفضل ولا منافس لها قطعاً. . . وهذا أمر عظيم. . . لا شك؟

- تفضل المرأة أن تكون محبوبة على أن يصل الرجل إليها عبر الانتقاء!

قال مماًزحاً:

- إذن؟ قررت، وبعد معرفة قصيرة، أنني غير قابل للتحريك؟ قد تكونين على حق، طبعاً، لكنني أشعر أن عليك الانتظار، شهراً على الأقل قبل إعطاء رأي كهذا.

بعد شهر، ستكون تامارا فلبشر المنسية، وستكرهها ليليان. . . لكن

البسمة التي ارتسمت على وجهها كانت مشرقة:

- ما عينته، أن الحب مهم للمرأة أكثر من الرجل. . . لبعض الرجال على أي حال. لكن، لطالما بدا لي أن الرجال لا بد وأن يكون عندهم من

يشاركونه فرحهم، ويهتمون به. فهذا هو رحيق الحياة.  
صمت، وكأنه يعطي لهذا الكلام كل الاهتمام الذي يستحقه. لكن صوته  
كان ساخراً وهو يسأل:

- وماذا تريدني أن أفعل . . أفع في حب تامارا؟

شحب لونها قليلاً، وعضت شفتها لتمنعها من الارتجاف:

- فكرة رائعة، وأجرؤ على القول إنها ستكون الدواء الشافي لسخريتك.

تحولت نظرتة الكسولة إلى الحدة، لكنه بقي في منتصف الأريكة،

مستنداً ظهره، وساقاه الطويلتان ممددتان أمامه!

- صراحتك لها حدّ لاذع . . وإلا لكانت منعشة.

لم يتكلم أحد منهما بعد ذلك لدقيقتين أو ثلاثة. أخيراً كسرت تامارا

الصمت:

- ألن ترغب في بعض المرطبات قبل الغداء؟ سأفزع الجرس لأطلبها

لك.

وعلى الفور أعيد الجرس فوق الهوة بينهما.

بعد هذا بوقت طويل، وبعد حضور ليليان، وإلقائها التحية عليهما،

وقبل أن تنزل لتناول الغداء قال جيراود:

- على فكرة . . مساعد والدك الجديد سيصل في مركب البريد القادم.

ولسوء الحظ أنه سيصل والسير همفري غائب، فعليه التفتيش عن مسكن

له . . الحاكم يفضل أن يعيش معاونه هنا في المقر . . لكن هذا الشاب عليه أن

يتنظر . . اسمه بارني وايتمور.

- وهل عليّ أن أفعل شيئاً لبارني وايتمور هذا؟

- رحيبي به فقط. كان يعمل في سنغافورة، وكان كفواً جداً في عمله،

لذلك لا بد أن يكون شاباً مميزاً . . إنه من النوع الذي يفيدنا دائماً في عملنا.

ما الذي يجعل جيراود قادراً بكل سهولة على إقناع الآخرين بالخضوع

له؟ إنها تفترض أن هذا في الواقع لب عمله . . التنسيق واختيار أشخاص

معينين، لمهام محددة . .

بعد ظهر ذلك اليوم، بدا أنه كذلك مصمم تماماً على أن يظهر «بولاني»

أمام رفيقته، بأبهى تألقها. أخذهما عبر الطريق الساحلي الضخم المؤدي  
إلى القرى المحيطة . . أراهما الماء المندفِع في سلسلة متواصلة من  
الشلالات نحو البحر . . ودلهما على ما لا يعدّ ولا يحصى من المساجد  
والمزارات الإسلامية . . وعلى أشجار جوزة الطيب وكبش القرنفل،  
والمساحات الشاسعة لقصب السكر، ومزارع جوز الهند الكثيفة.

لم تكن تامارا أسفة حين ودعت جيراود بعد عودتهم إلى المقر . . فقد  
تحملت ما يكفي منه ليوم واحد . . فهي تتطلع بشوق إلى أسبوع تكون فيها  
لوحدها مع ليليان . .

خلال الأسبوع الأول، لوجودهما في «بولاني» لم تتح لهما فرصة  
لحديث حميم معاً. وقت النوم كانت ليليان تدخل غرفة تامارا . . لكن لشدة  
تعاسها الظاهر من التناؤب الدائم، كان من المستحيل بقاؤها لمدة تسمح  
لهما بحديث مفيد . . مع ذلك قالت:

- نحن نمضي وقتاً رائعاً . . ومن المؤسف أن ننهيه قبل أن نكون  
مضطربين . . ألا توافقين معي . . هه؟ جدياً يا حبيبتي . . إنك تتصرفين  
بشكل رائع مع جيراود . . ينظر إليك وكأنك قطعة صغيرة لا يستطيع فهمها . .  
تعرفين كيف: كلها نار وفرو . . ! معه، هذه نظرة قد تعني أي شيء!

- أو لا شيء على الإطلاق. وقد نسمع في أي يوم الآن أن والدك في  
طريق عودته من تلك الجزيرة . . ولا نستطيع إكمال الخدعة حتى ذلك  
الوقت.

- أنت تضحجن كثيراً حول الأمر يا حلوتي.

- وأنت لا تقلقين بما يكفي!

لوحث ليليان يدها المحمرة الأظافر وقالت:

- امرحي قدر استطاعتك . . واتركي كل شيء بيد ليلي . . عمت مساء .

لم تكن ليليان تقدم أية مساعدة أبداً خلال استقبال الضيوف. ففي حفلة  
التنس يوم الأربعاء، لعبت مباراة واحدة ثم ذهبت لتستحم في البحر مع أحد  
الرسميين الشبان، في غياب الكابتن سمولود . . لكنها علقت فيما بعد على  
وجود فلورا قائلة:

- إنها فتاة مثيرة للاهتمام . . أليست كذلك؟ هل لاحظت ضربات التنس الدقيقة؟ فلورا هذه ليست مسكينة كما يبدو!

أجل . . لاحظت تامارا هذا . . فقد بدت فلورا نحيلة أنيقة في التنورة القصيرة التي جعلت ساقها تيدوان طويلتين سمرأوين أنيقتين . ولقد تقبلها الرجال بسرعة . . وابتسمت لها النساء، بعطف وتفهم . فالفتاة جميلة، كما علق أحدهم، ولا بد أن من المذل أن يكون لها أخ مثل ريك . . وكم من اللطف أبدته ابنة الحاكم بقبول الفتاة .

لم يصل جيرالد في الوقت المحدد للتنس، لكنه تحدث إلى فلورا وقت تناول المرطبات . . شاهدتهما تامارا معاً وعينها مرفوعة إليه . . واعتقدت أن من الرائع أن يكون الرجل مثل جيرالد ويحصل على أي شيء يريد . . رائع جداً!

كان هناك نشاط كل يوم . . عشاء عند آل ماكتافش، حفلة سباحة في ضوء القمر . . احتفال ديني تتفرجان عليه من قمة الجبل، زيارة إلى الإرسالية في الجانب الآخر من الجزيرة . . بعد ظهر أحد الأيام ذهبت تامارا للتعرف على السيدة كايل المريضة وترى جروها .

كانت ليليان تفضل قضاء كل وقتها على الشاطئ . .

بشرتها العاجية الناصعة، كانت تكتسب سمرة غنية بسرعة . . وبدت قادرة، شأنها في ذلك شأن النساء اللواتي لهن مثل هذا اللون من البشرة على تحمل أي كمية من أشعة الشمس . . بينما كانت تامارا تتمتع بالسباحة في البحيرة، لم تكن تجد لذة في متابعة اللعب فوق الرمال البيضاء والعبث مع شبان الإدارة الرسمية ممن هم في إجازة .

كانت تامارا تحب العودة إلى المقر في «كالاباهيل» لوحدها في السيارة وتطلب من السائق التوقف في بقعة محددة تطل منها إلى وراء الرأس الصخري حيث تجد مركباً أو أكثر، في الميناء . كان منظرًا جميلاً: الزوارق الصينية ذات المجذاف الواحد، والزوارق الطويلة ذات الشراع المصنوع من القصب الرقيق .

ذات صباح أطالت المكوث على الطريق فوق الميناء لوقت طويل،

حيث رست سفينة كبيرة أكثر من المعتاد هناك . . وهي تدخل المقر، وترمي حقيبة سباحتها على كرسي . وقفت مسمرة مذعورة . . فمن خلال مدخل غرفة الجلوس الرئيسية، رأت بوضوح شكل رجل لم تره من قبل .

استمر جمودها لحظات طويلة . . كادت تندفع راكضة إلى غرفتها وتقف الباب ورائها . . ولم تستطع فيما بعد أن تعرف ما إذا كان هذا ما ستفعله لو كان لها سبيل الاختيار . فلا بد أنها أصدرت صوتاً خفيفاً جعل الرجل يستدير وينظر إلى الردهة .

تطلعت من مسافة عشرة أمتار أو يزيد كانت تفصل بينهما إلى وجه شاب مربع، أكثر معالمه وضوحاً حاجبان كثيفان يلوح فوقهما شعر كثيف أشقر يلون القش أما طولُه فلم يكن أطول من المعتاد . لكن، كان له كتفان عريضان، وذقن تدل على العناد . قالت مرتبكة:

- مرحباً . . أنتنظر أحداً؟

رد بلهجة صحيحة:

- كيف حالك . . لا بد أنك الآنسة فليشر . . أنا بارني وايتمور . .

أجل . . أنا أنتنظر شخصاً . . أنتنظر ليليان .

- أعرف . . ليليان؟

- التقينا في لندن منذ سنة أو أكثر، ولا أظنها كلمتك عني . .

اضطرر للتوقف عن الكلام فجأة لعدم قدرته على إيصال صوته أمام هدير سيارة تتقدم إلى باب المقر، ويبدو أن فصيلة كاملة بدأت تهبط منها . . انفتح الباب الرئيسي، ودخلت ليليان مع أربعة رجال من أعمار مختلفة بملابس الشاطئ الاستوائية الفاقعة الألوان . . كان اللون الوردي شديد الظهور تحت سمرتها، وأسنانها تلمع من بين شفرتين حمراوين، والقبعة المصنوعة من القش تعطي لشعرها الأسود المتجمد جمالاً وسحراً .

لكن اندفاعها المستعجل كان مؤقتاً . . وأخفت الرموش الحريرية العينين البراقتين وهي تستدير إلى تامارا:

- لم أكن أعرف أن لديك زائراً . . أسفة لأنني أبدو مشعثة هكذا . لكننا

جئنا فقط لشرب المرطبات وأخذ نظراتي الشمسية . . لن نعيثك يا ليليان .

لم تجرؤ تامارا أن تنظر إلى المساعد الجديد للحاكم . . ولا وثقت بنفسها لتقول شيئاً . . بل تمتعت فقط :

- هذا هو السيد وايتمور . . آنسة تامارا فليتشر .

وخرج اسم الرجل من فمها ألياً . ردت ليليان :

- إلى غرفة الجلوس ، جميعكم . وصبوا لي كوباً طويلاً من الليمونادة المثلجة . . ولا تبخلوا بالثلج !

تقدمت إلى جانب تامارا ، ودست يدها في ذراعها . ثم نظرت باستغراب إلى وجه بارني وايتمور المحمر ، وإلى فكه المتدلي .

قالت مفكرة بصوت مرتنم :

- إذن ، أنت بارني وايتمور . . أعتقد أن ليليان أخبرتني عنك . . أنت

الرجل الذي سماها مرة المتوحشة المدللة . . إضافة إلى أشياء أخرى . يجب

أن تأتي بعد الظهر لتناول الشاي يا سيد وايتمور ، وثلاثتنا سيكون لنا حديث خاص .

فجأة ، تركت تامارا تقف وجهاً لوجه مع شاب مضطرب وعدت جيرالد أن ترحب به بحرارة . . قالت بضعف :

- هل تأتي معي إلى غرفة الجلوس الصباحية سيد وايتمور؟ أظننا بحاجة إلى شيء ننعشنا .

\*\*\*

أحضر جوزيه الشراب البارد إلى غرفة الجلوس الصباحية ، وانصرف مسرعاً . ابتلع بارني جرعة كبيرة من عصير الأناناس المثلج ، ثم تنفس الصعداء . قائلاً بصوت أجش :

- إذا أنت ليليان . . يبدو أنني كنت أحلم بفنأة أخرى؟ أتمانعين في إعطائي تفسيراً لهذا الأمر؟

- الأمر بسيط . . إنها مداعبة . . ما من أحد هنا كان يعرف أيًا منا حين

وصلنا . .

كان شاباً شديد الفطنة سريع الفهم . . وسألها بوقار :

- هذه فكرة ليليان . . أليس كذلك؟ وحدها يمكنها التفكير بأمر جنوني

كهذا! لكنني لا أظن أن جيرالد سومرفيلد ينوي الزواج من ابنة الحاكم . . أنا

لا أعرفه . التقيت به في أحد المكاتب الحكومية حين وصلت إلى الجزيرة

على متن الباخرة هذا الصباح . يبدو أنه يتمتع بسمعة طيبة . . ولن يفعل شيئاً

كهذا عن عمد .

- لكنه طموح .

- أليس هذا حالنا جميعاً؟

- أصحيح هذا؟

وأكملت :

- الانطباع السائد أنه امرؤ يهتم حتى بأدق التفاصيل لتتناسب مع خططه .

ورجل من هذا النوع لا بد أن يتزوج .

- ربما . . لكن هناك سبيل أخرى لمعالجة مثل هذه الأوضاع . . إذا كانت

موجودة . . وما كان يجب أن نوافقي على عمل صبياني كهذا .

سمعا أصوات ضحكات بعيدة ، ثم صفق أبواب سيارة . . فتأوه :

- هل تنجول عادة كالمجنونة مع أربعة مرافقين؟

- أحياناً أكثر من أربعة . . لكنها لا تفضل أحداً منهم . . ليليان

محبوبة . . ولن تؤذي أحداً بمحض اختيارها . . هل سميتها حقاً بالمتوحشة

المدللة يوماً؟

أجاب بلهجة قاسية :

- أجل . . فعلت . وقد أرسلت لها كتاب اعتذار فيما بعد ، لكنها

تجاهلته . ثم أرسلت إلى سنغافورة ، حيث سمعت منذ أسابيع أن مساعد

السير همفري عاد إلى بلاده بسبب مرضه . . فحاولت أن أحل محله على أمل

بأن أقنعه بدعوة ليليان إلى هنا . . لذلك يمكنك تصور ما أحسست به حين

قيل لي هذا الصباح إنها هنا !

قالت بحذر :

- إذا ، كل شيء أفضل بكثير مما تصورته . . أليس كذلك؟ ليليان هنا ،

وتعرف من هي من بيننا ، ستأتي بعد الظهر لتناول الشاي كما اقترحت ليليان ،

أليس كذلك؟

- سأفعل بكل تأكيد! وأرجوك، دعيني أقول لك إنك شابة بروح رياضية عالية. . . ولا بد أنك تهتمين جداً بليليان مما جعلك توافقينها.  
- أحبها. . . لكن هذا ليس شيئاً جدياً، ففي نهاية الأسبوع ستظهر الحقيقة.

- قد يكون الأمر خطيراً. . . لا بد أن خداع رجل مثل جيرالد سومرفيلد تحفه مخاطر أكيدة. . . لنفترض أنك وقعت في حبه. . . تصوري في أي ورطة ستكونين حين يعرف أنك لست ليليان.

ردت بإبتسامة على شفيتها وجفاف غريب في حلقها:

- هذا افتراض لن يحدث. . . والحمد لله! أترغب في كوب شراب آخر؟  
- لا. . . شكراً لك. . . لن أطيل البقاء. . . أيمكن أن أستعير سيارة توصلني إلى سزل السير فايفل؟ سأستخدم غرفة إضافية في منزله إلى أن يصل السير همفري.

راقبتة تامارا وهو يرحل. . . واثقة أنه لن يقول شيئاً يجلب الخزي لليليان.

وقت الغداء كانت ليليان مرحة، قالت:

- لا تشغلي بالك ببارني. . . سيكنتم سرنا كالحمل الوديع. . . سنضطر إلى تذكيره طوال الوقت. . . إنه متجههم متصلب أكثر مما أستطيع تذوقه على أي حال.

- لم يظهر لي أنه مفرط في الوقار.

- ولن يظهر لك. . . لأنك أنت هكذا. سنطلب منه الابتعاد عن المقر إلى أن يعود أبي.

- أنت من سبطلب منه هذا، فلن أكون هنا بعد الظهر.

نظرت إلى تامارا بتركيز:

- لا يمكنك أن تخذليني الآن!

- أنا لن أخذلك. لقد قلت له كل ما أستطيعه، والأمر عائد لك الآن لإقناعه. شخصياً، أظن أن الوقت قد حان لإنهاء هذه المهزلة. إذا أحببت،

سأقول لجيرالد بنفسي.

- أنت أنهزامية يا حلوتي. . . وهذا يعني أنك لا تبذلين جهدك. . . فنحن لسنا على استعداد بعد للقول له. . . فقد بدأ لتوه بإظهار القليل من التفضيل لابنة الحاكم. . . ومع ذلك فهو ساحر معي بحيث سيكون من السهل عليه نقل اهتمامه لي.

جاهدت تامارا الإبعاد الحدة عن صوتها:

- وهل سيكون هذا شيئاً إلى هذه الدرجة؟

- ربما. . . فطريقة عبثه ماكرة. إلا أنه لا يحتاج إلى الكلام المعسول والنظرات الثاقبة. . . ويجب أن تعترفي أن الأمر سيكون كارثة لو أستطاع سحري فأتزوج من رجل لن أفهمه ولو بعد مئة سنة. . . مع ذلك فهو يعجبني! أبعدت تامارا طبق الطعام وأمسكت بإبريق القهوة:

- هل يعجبك؟ بالرغم مما قالته الأنسة فيلدز لنا عنه؟

- إنه متوحش عديم الروح. . . لكنه وسيم. . . وبطريقة ما، مثير، بالرغم من برودته. . .

- أظنك تعنين ما تقولين. . . أواثقة أنك لم تغرمي به؟

- لا أظن. . . لكن هذا هو تأثيره. إنما لدي اقتناع أنه لو صمم على الوصول إليّ، فسينجح. في هذه الحال سنسعد لأسبوع واحد، ثم نفصل في الأسبوع التالي، ولن نلتقي ثانية.

ضحكت تامارا لهذه الصورة المشوشة، والتي لا تظهر أقل معرفة بشخصية جيرالد. . . فهو قادر على السيطرة على زواجه، بنفس اللمسة الكفوة التي يستخدمها للسيطرة على مصيره. . . ثم أردفت قائلة:

- لنعد إلى بارني. . . إنه هنا ليعمل. . . كوني لطيفة معه بعد الظهر. . . على أي حال. . . ستظلمين منه معروفاً.

- تناولي الشاي معنا.

- لا. . . فلتكن هذه فرصتك. . . لأنني أخشى أن أنحاز إلى صفه.

- في هذه الحال أنا مضطرة لمواجهة الرجل لوحدي، لذلك سأدعو شخصاً آخر للشاي بعد ربع ساعة من وصوله. . . كيف ترين هذه الخطة؟

كانت تامارا تصل إلى قناعة أن تصرفات ليليان هي الأسلم والأقل خطراً على خطة التجريح بغرور جبرالد سومر فيلد.

صعدت إلى غرفتها لتستريح لساعة بعد الغداء، لكن قبل وقت الشاي، أخذت قبعتها، وسارت عبر الحديقة باتجاه البحر ثم سارت بعد مسيرة قصيرة عبر حزام من أشجار الحور حتى وصلت إلى منحدر عشبي كانت تمتد من تحته صخور زهرية اللون مائلة إلى الرمادي، شديدة الانحدار.

ما إن قفزت تامارا فوق الصخور حتى انشددت على الفور بالجمال الساحر للعديد من الأسماك الملونة التي تسيح داخل برك طبيعية. لمست المرجان الخشن الرملي، وتعجبت مرة أخرى من وجودها في بحر الجنوب، وهي، تامارا فليشر، لم تكن لتتصور في أكثر خيالاتها جنوناً. أن تكون هنا.

نظرت إلى الوراء، خلف الحشائش الساحلية المرتفعة النمو التي تمتد إلى الغابة، وانخلع قلبها. ذعرا بالطبع. فقد خطر ببالها أنها لوحدها تماماً. وأن ما من أحد سيجدها هنا. ولا حتى جبرالد! انتظرت إلى أن قفز عن الصخور بخيرة. إلى أن وصل إليها، كانت ابتسامة التحية قد تلاشت عن وجهها. وسألها:

- أتأتين دائماً إلى هنا؟

- هذه هي المرة الثانية فقط. أجد المكان هادئاً. أنكشرت أنت التردد إليه؟

- ليس دائماً. صيد السمك من فوق الصخور جيد. لكن لا وقت لدي لرياضة نحتاج إلى الكثير من الصبر. دعينا نبحث عن مكان ما بين الأعشاب يظللنا. أريد التحدث إليك.

ساعدها لتصعد المنحدر، وشد على معصمها بلطف وهما يصعدان إلى ظل شجرة «بيلوبيرا» عتيقة. فجلست على العشب، وجلس قريبا. نزع سترته، واستند إلى الخلف على مرفقه، ينظر إليها.

هذه اللحظة كانت مشحونة بموقف حميم لا تكاد تتحمله، ولا يحسن به سواها. قالت بسرعة:

- كيف عرفت أين نجدني؟

- شاهدك حارس تأتين إلى هنا. والمراقبة إحدى العقوبات التي يتحملها أفراد عائلة ميلوز.

- ولماذا المراقبة؟ أوائق أنت من عدم وجود خطر؟

- طبعاً واثق. لكنهم ينفذون الأوامر فقط.

- أوامرك؟

هز رأسه.

- السير همفري تركك تحت رعايتي. لذلك أتخذ كل الاحتياطات.

- حسناً. لن يدوم هذا أكثر من فترة غيابه. ليس كذلك؟

قطع ساق عشب مليء بالزهور الزرقاء ونظر إليها ملياً. بتقييم لا عاطفة فيه، ثم رماه بعيداً:

- تركت المكتب باكراً، لأبلغك خبراً لن يعجبك كثيراً. أخشى أن لا

يستطيع والدك العودة قبل أسبوعين.

- أوه..!

كان صوتها مرتاعاً بالقدر الذي توقعه، مع أنه لم يستطع فهم السبب.

- هل حدث له مكروه؟

- لا شيء يدعو إلى القلق. سبق لي أن شرحت لك أهمية مهمته.

والدك يحب أن يتدبر الأمور بطريقته الخاصة. وهذا النزاع أخذ منه وقتاً أكثر مما كان يعتقد. وصلت رسالته باكراً بعد ظهر اليوم.

أبعدت تامارا نظرها فوق البحر. أعصابها كانت متوترة. لقد هيأت نفسها لعودة السير همفري في نهاية هذا الأسبوع، وأي تأخير لن يكون في صالحها.

بقدر ما استطاعت أن تظهر عدم اهتمامها، قالت متصلبة:

- لطف منك أن تأتي بنفسك، لتقول لي هذا، سيد سومر فيلد.

فسألها بسخرية مرحة في صوته:

- ألا تظنين أن عليك متاداتي جبرالد.؟ صديقتك تفعل هذا. وكذلك

والدك.

ابتسمت له ابتسامة باهتة خفيفة:

- لو فعلت، لناديتني ليليان بدورك، وهذا ما لا يعجبني.

فدخلت صوته حدة لاذعة حين قال:

- أليس هذا غريباً.. من فتاة عصرية؟

- ليس بالمعنى الذي تقصده.. أيمن أن نقول إن اسم ليليان يناسبني؟

- لا.. لن أقول هذا.. لكن إذا كان مناسباً بما يكفي لوالدك

وللآخرين.. فلا بأس به لي.. على أي حال ماذا في الاسم؟

فكرت برعب: قد يدهشك ما في الاسم! لكنها سألته بمرح:

- أي نوع من الفتيات استحضرك عند ذكر اسم ليليان ميلوز؟

ضحك دون اهتمام:

- أفضل ما أستطيعه للرد هو القول إنني على الأقل لم يخب ظني.

قالت بحذر وكأنها تسير على طبقة جليدية رقيقة:

- لنفترض أنه تبين بأنني فتاة أخرى.. مثل تامارا؟

- تعجبني تامي تماماً. فنحن العزّاب مقيّدون بروتين محدد، وهي تفعل

ما يوسعها لتخرجنا منه..

هذا يعني، طبعاً، أن لانية لديه، في هذه المرحلة، أن يعلن تفضيل

إحدها على الأخرى.. مرة أخرى أحسّت بارتباب خانق بأنه أحس بشيء

ما، وأنه يأخذ وقته، مع ذلك كانت متأكدة أنه لو شك في الحقيقة، لصارحها

على الفور.. فنظرت إلى ساعتها بارتجاف، وقبل أن تقول شيئاً، سبقها:

- هل شاهدت وايتمور الشاب هذا الصباح؟

- أجل.. رأيت.

- لم تذكري لي أنكما تعرفان بعضكما.

- أنا.. نسيت.

- حقاً؟ فهمت من مقابلتنا القصيرة هذا الصباح، أنكما كتتما صديقين

منذ سنة فقط، وأصدقاء مقربين، إذا كان صادقاً.. يبدو أنني بالغت في

تقديره فتلهفت، لأن يصبح مساعد السير همفري. إن عواطفه التي كانت

تملي عليه لا طموحه التقدم إلى المراتب الأعلى في الإدارة الحكومية.

لم تكن تامارا تعرف شيئاً عن بارني وايتمور، لكن من خلال المقابلة

معه هذا الصباح، اكتسبت قناعة بأنه مستقيم، مخلص، جاد في عمله..

فقالت:

- بارني، لا بأس به.. وسينجح جيداً.

رد بلطف: من الأفضل له.

وقف بتمهل، ثم ارتدى سترته، ومدّ لها يده:

- يجب أن أذهب.. أتوقع أن تصلني رسائل إلى منزلي.

كانا قد تسلقا المنحدر، وهما يسيران بين الأشجار حين سألتها بشكل

عفوي:

- أترغبين برحلة بحرية حول الجزيرة يوم الجمعة؟ فأنا أقوم بزيارة

روينية للقري الساحلية مرة في الشهر.

فجأة أحست بخفة في قلبها وانطلاق.. لكن ليس انطلاقاً كاملاً..

سألته بسرعة:

- بمفردي.. دون تامارا؟

- لن تتحمل الرحلة.. ستضجر بعد زيارة أول قرية.. هل ستأتين؟

- طبعاً.. كنت أتشوق لرؤية الجرف المرجاني منذ أن وصفت لي.

سألته بسرعة ونهور:

- اليوم هو الأربعاء.. أألن أراك قبل الجمعة؟

- ممكن.. مع أن أماسي محكمة ستعقد صباح الغد، واجتماع

للمجلس بعد الظهر. إذا لم أستطع الحضور في المساء، سأرسل لك

رسالة.. سننتقل في رحلتنا في الثامنة من صباح الجمعة، أيناسيك هذا؟

كانت تامارا صادقة في نفسها إلى درجة كادت أن تؤكد له أن هذا يناسبها

وأن الاقتراح بحذ ذاته جعلها سعيدة.. لكنها كانت مضطرة لأن تقول:

- أنت واثق تماماً أنني لن أكون حجرة عثرة في طريقك؟ أعني، أألن

يؤثر وجودي على عملك الرسمي..؟

ردّ متسامحاً: لا.. يا طفلي.. لا شيء أبداً يؤثر في عملي.

لولا وصولهما إلى أسفل السلم، لحاولت أن تتحداه.. ولكم كانت

ستحب أن تهز ثقته بنفسه! نظر جيرالد إلى التراس وتعبير وجهه متباعد متجهم. . . هز رأسه بتحية صارمة إلى ثلاثة من موظفيه. بارني واحد منهم، والكابتن سمولود، وضابط شاب آخر، وأمال رأسه قليلاً نحو ليليان. سألته تامارا:

- الآن تناول قليلاً من الشاي؟ . . من المؤكد أنه جاهز.

- لا. . . شكراً. في وقت آخر. . . وداعاً.

صعد إلى سيارته الرمادية، وأبتعد بها عبر الطريق الداخلية. . . بينما صعدت تامارا السلم مرغمة وتقدمت من الشبان المحيطين بليليان، التي كان خداهما محمرين، وعيناها براقيتين:

- مرحباً يا حبيبتي! ما رأيك بأصدقائي؟

حيث تامارا «أصدقاء» ليليان بابتسامة. . . وسرعان ما تولى بارني مهمته التي سيتولاها حال عودة السير همفري، وقال دون تكلف، وربما عن قصد: - لا بد أنك تشعرين بالحرارة بعد التمشي يا ليليان. . . ادخلي إلى المنزل وسأطلب لك الشاي.

لكن تامارا اختارت أن تتناول الشاي في شرفة غرفتها. . . وشاهدت المجموعة تنصرف. خرجت ليليان مع الكابتن الآخر، بينما سار بارني تحت الأشجار باتجاه بوابة منزوية. . . كانت الساعة تشير إلى الخامسة إلا ربعاً، وأدركت أن مقابلة بارني مع ليليان كانت قصيرة وعاصفة.

كان يوم الخميس هادئاً في المقر. بقيت ليليان في القراش رغم كل التوسلات حتى الظهر. حين نزلت، سعت إلى كتاب وأخذته معها لتجلس في مكان هادئ على التراس. بعد الغداء عادت إلى الكتاب، وشاهدتها تامارا من خلال نافذة غرفة الجلوس الصباحي، رأسها الأسود الشعر منحني فوق الكتاب، مع أن قدمها كانت تنقر على الأرض برتابة كانت تعكس ما يجري في رأسها من أفكار. . .

كتبت تامارا أخيراً رسالة لعمتها. بعد أن أفلتها، أعطتها لأحد الخدم ليرسلها بالبريد. . . ثم توجهت إلى الخارج عبر التراس إلى ليليان. وسرعان ما أفلتت الكتاب على ركبتيها، وارتفعت عيناها السواداوان بكل بريقهما

المعتاد، لتستقرا على وجه تامارا الرائع الصغير. . . لتسألها بابتسامة لطيفة، جعلتها تبدو كصبي جذاب:

- أتعلمين أنك حلوة وحنونة، ولا عيب فيك؟ هذا ما يقوله بارني. . .

- إنه منحيز لي، لأنك كنت قاسية معه.

تناولت سيكارة من العلبه الموضوعه على الطاولة وأشعلتها بعود

ثقاب، ثم جلست تكمل:

- أرجو أن لا تعامله بالسوء. . .

- حصلت منه على ما أريد، على أي حال. . . وعدني بالكتمان حتى نهاية

الأسبوع. . . ويتأخر وصول أبي يجب أن تحدنه إحدانا مرة أخرى. . . ومن

الأفضل أن تكوني أنت. . . فانا أرفض أن أفقد أعصابي معه مجدداً.

تمتت تامارا مفكرة:

- ما الذي يضطرك إلى فقدان أعصابك؟ لم أسمع أنك تصرفت هكذا مع

رجل من قبل. . . فلماذا مع بارني؟

- لأنه غبي. . . ولا يوجد سوى فكرتين في رأسه. . . إحداهما الاهتمام

بعمله، والأخرى. . .

صمتت باشمزاز ظاهر. فأكملت تامارا:

- الأخرى أنت. . . أعتقد أن الرجل يريد أن تكوني له.

لوحث ليليان بشعرها الأسود:

- لم يقل هذا. . . لذلك لم أتمكن من أن أقول له إنني لن أتزوج «بولدوغ»

رهيب مثله، حتى ولو كان مليونيراً. ولن أستقبله في المقر قبل عودة أبي. . .

هذا ما قلته له!

- وكيف تقبل الأمر؟

- بغرور رجولي. . . حتى أنني كدت أمسك بخناقه، وكانت لديه

الشجاعة ليقول إن الأمر يعود إليك، وليس لي.

- وهو محق.

نظرت إليها بحدة غير مصدقة:

- أرجو أن لا تتحالي مع ذلك الطفيلي الفظ. . . أجل هذا ما هو عليه:

طفيلي . . لقد شق طريقه بالقوة إلى «بولاني» .

ردت تامارا برصانة :

- أنت غير منصفة . . تعرفين كما أعرف أن أي رجل يجب أن يكون مناسباً لمنصب المساعد الشخصي للحاكم قبل أن يختاره لمثل هذا المنصب .

صمتت قليلاً، ثم أضافت دون اكتراث :

- لا تتشاجري مع الرجل . إذا كنت تضميرين له الكره، فتجاهليه .  
وتذكري أنه يحفظ سرك .

نفثت ليليان دخان سيكارتها فعبق الجو بسحابة بيضاء راحت تأملها طويلاً :

- يبدو لي أنك لم تعودتي تعترضين كثيراً على لعبتنا الصغيرة!  
ردت بإبهام :

- ربما . . لكنني أرغب في التخلي عن دورك لحظرة نشائين .  
- ستبقى اللعبة كما هي لفترة .

- لأنك تنوين تلقين بارني درساً كذلك؟

لم ترد ليليان على هذا . بل أطفأت سيكارتها الجديدة، وتشاءبت، تشير إلى أن الوقت حان للاتصال بأصدقائها . ثم دخلت المنزل، لكن تامارا بقيت لتنتهي سيكارتها بهدوء .

وصلت إلى مسامعها وقع حوافر جوادٍ غير مألوفة قادمة من الطريق الداخلية الأمامية . فوقفت تامارا واتجهت إلى زاوية المنزل وللحظات بقيت تحدد بجوادٍ صغير يحمل فتاة نحيلة، ترتدي بنطلون ركوب رائع، وقميصاً حريرياً . ثم دفعها لهفة الفتاة، وقفزها السريع إلى الأرض، لتستدير نحو مقدمة المنزل، لتلتقيا في منتصف الطريق . على الفور لاحظت تامارا الوجه الشاحب التعييس، والشعر البني المشعث :

- فلورا! ما الذي حدث؟

- ستظنين أنني مجنونة . . لكنني لم أستطع التفكير بغيرك لأجأ إليه .

لقد قلت لي إنني أستطيع الاعتماد عليك .

- بالطبع . . ادخلي المنزل .

لكن فلورا توقفت في الردهة :

- لا فائدة من دخولي . . لا أستطيع البقاء . إنه أخي . . كان على صهوة جواده في المزرعة فوق . . لا أظن أن إصابته خطيرة . لكنه يشعر بدوار شديد . . أدخله العمال إلى المنزل، بينما جئت إلى هنا لأطلب منك الاتصال بالدكتور ماكتافش .

- لكن عيادته في طريقك إلى هنا .

- أعرف . . لكنهم يبحثون مسائل صحية في اجتماع المجلس اليوم، لذلك فهو مضطر لحضور الاجتماع .

يبدو أن فلورا يوكسهول واسعة الاطلاع . . تجاهلت تامارا شكها وسألت :

- ألا يوجد طبيب آخر؟

- واحد فقط في الإرسالية داخل الجزيرة . . وقد يتأخر الدكتور ماكتافش في الاجتماع الرسمي إلى السادسة مساء . . ولا أستطيع ترك ريك طويلاً دون اهتمام .

- أظن من الأفضل الاتصال بالسيدة ماكتافش أولاً، فقد تكونين مخطئة بخصوص حضور الطبيب للاجتماع .

نظرت العينان الواسعتان المأساويتان اللتان كانتا تبرقان بأكثر من لون إلى وجه تامارا مباشرة :

- لا . . فالأمر صحيح . . لقد ذهبت إلى كاتيمبا، وأخبرني سكرتير جيرالد باجتماع المجلس .

- هكذا إذن؟

أخفت تامارا غصّة أخرى مفعمة بالغيرة من عدم الثقة . . فلورا تبدو في كرب ويجب مساعدتها . . وليس من الإنصاف التفكير الآن إن كانت تعجبها أم لا :

- في هذه الحالة، من الأفضل إرسال رسالة مباشرة إلى الطبيب وهو في الاجتماع .

ابتلعت فلورا ريقها بامتنان :

- أنفعلين هذا حقاً؟ ذلك السكرتير كان فظاً معي، فهو يكره ريك ..  
وأستطيع القول إن أسفه الوحيد كان أن ريك لم يقتل ..

ارتجف صوتها بحزن قائلة :

- الكل يعتقد أن عليّ التخلي عن ريك . لكن أي نوع من المخلوقات سأكون لو أنني تخليت عنه في وقت يحتاج فيه إليّ بشدة؟ جيرالد هو الوحيد الذي يفهمني .. وأنت، بالطبع .

- ارتاحي لدقائق، سنذهب معاً بالسيارة .

غابت قليلاً لتكتب الرسالة إلى الطبيب ثم عادت لتقول لفلورا إن الجواد سيرتاح هنا ثم يعاد إلى المزرعة، وسيذهبان معاً على الفور إلى «مارين درايف» .

بعد أن انطلقت السيارة بهما حاولت تامارا إخفاء توترها .. لقد تصرف فلورا وكأنها مراهقة، وليست في الخامسة والعشرين، وهذه طريقتها . وإلى أن يبدو عليها سنها الحقيقي، ستبقى هكذا . إضافة إلى هذا، الفلتاة متكبرة حقاً لحادثة أخيها .. وليس من المستحسن ترك الشكوك تلون نظرتها إليها .. ماذا لو أنها ذهبت إلى منزل جيرالد أولاً؟ إنها تفعل كل شيء بطريقة واضحة، ولا يمكن أن تكون تنوي الخداع أو الإزعاج .

دخلت السيارة إلى «مارين درايف» لتقف أمام المبنى الحكومي الضخم .. وتطلعت فلورا من النافذة إلى البحر، ويداها متشابكتان حول ركبتيها، وليس بها أي أثر للقلق الذي يتتاب تامارا .

عاد السائق من داخل المبنى قائلاً :

- الطبيب سيأتي حالاً .. لن تنتظريه .. سيارته هنا .

سألت فلورا السائق المؤدب :

- هل شاهدت الرئيس؟

كانت تامارا تعرف أن هذا هو لقب جيرالد عند أهل الجزيرة .

- لا يا سيدتي .. لم أره .

وجلس وراء المقود، ليدير محرك السيارة . قالت فلورا تشرح الأمر

لتامارا دونما لباقة :

- اعتقدت أن جيرالد يجب أن يعرف بأمر ريك بأسرع وقت ممكن .. فهو يهتم لأمرنا .

ثم لاذت بالصمت، إلى أن بدأت السيارة بالتأرجح فوق الطريق الوعرة المريعة، والمؤدية إلى منزل يوكسهول .

ما هي إلا دقائق حتى وصل الدكتور ماكتافش .. وهو يتمتم متذمراً للضرر الذي أصاب رفاصات سيارته .. وانحنى لتامارا، ثم دخل المنزل .. رافقته فلورا إلى غرفة الجلوس المعتمة ثم عادت مسرعة لتقف قرب تامارا الواثقة بقلق قرب السيارة . وقالت :

- شكراً كثيراً لك . ما كنت لأعرف ماذا أفعل لولا مساعدتك .. أنت وجيرالد أروع شخصين عرفتهما في حياتي .

- أوأثقة أن لا شيء آخر أفعله لك؟

- بوجود الطبيب الآن، أستطيع تدبير نفسي .

تلك العينان اللمعات، تحولتا مجدداً إلى اللون الأخضر أمام أشعة الشمس، وامتلائنا فجأة بالدموع .. وقالت دون ارتجاف :

- الحياة ظالمة .. أنت لديك كل شيء : منزل رائع، والد شهير، والكثير من المال .. بإمكانك فعل أي شيء تريدين، دون اعتراض . الجميع يقول إن جيرالد سيتزوجك .. وهكذا ستصبحين يوماً ما زوجة الحاكم .. حتى ولو أحب فتاة نكرة، فهو لن يتزوج منها .

انتصب الشعر الناعم على مؤخرة عنق تامارا، وأحست برطوبة راحتيتها .. لكنها أبقت صوتها خالياً من المشاعر :

- أنت متسرعة بتصريحتك .. هل أنت مغرمة بجيرالد؟

- أحبه .. وأنا واثقة أنه يحبني، أعرف أنه حب دون أمل .. وهذا ما هو

الأمر عليه حين تنجذب فتاة مثلي إلى رجل مثله .. لكنني لن أتخلي عن الأمل تماماً قبل أن يتزوج من غيري .. الجميع يعتقد أنني أعيش هنا بسبب ريك فقط .. صحيح أنني جئت إلى هنا بسبب تعلقني بأخي .. لكنني بقيت بسبب

جيرالد .

شدت تامارا على شفتيها . على المرء أن يحافظ على وقاره وكرامته  
مهما كان الثمن . خطت خطوة نحو السيارة ثم قالت وهي تدخلها :  
- عرضي لك لا زال قائماً .

لكن فلورا لم تكن قد انتهت بعد ، فوقفت عند النافذة تبتسم عبر دموع  
الغضب :

- يجب أن لا تهتمي يا ليليان . . حادثة ريك صدمتني . . ولا أعرف ما  
أقول . . أحبك كثيراً . . فلا تهجريني . . وإلا فلن أعرف ما سأفعل .  
بالرغم من شحوبها ، سيطرت على نفسها ولامست أصابع فلورا :  
- أنت مجهدة ، وتحتاجين إلى الراحة . . دعيني أعرف كيف حال  
أخيك . . وداعاً .

أسندت ظهرها إلى الوراء ، وأغمضت عينيها إلى أن وصلت السيارة إلى  
الطريق المعبدة . . ففتحتهما ، لتحذق دون أي تری شيئاً إلى الطريق  
الساحلية . أحست وكأنها مضروبة . . أدركت أن الفتاة غير مستقرة ، لكنها  
اقتنعت أن فلورا بوكسهول ، شيطانية الذكاء ، بتعلقها بالبراءة الزائفة . . مع  
أن الانطباعين يمكن أن يكونا مخطئين .

شيء واحد ، على أي حال ، لم يكن هناك مجال للخطأ فيه . . ففلورا  
بوكسهول تحب جيرالد سومرفيلد وتغار عليه .

وجيرالد؟ حسناً ، كما قالت فلورا بنفسها ، المفوض الأعلى والذي  
سيصبح الحاكم ومن المستبعد أن يتزوج من نكرة . . لكن من الممكن ، أن  
يحب فلورا . وربما هو معجب بشجاعته كذلك بالجسد النحيل ، الذي  
تجهد أن يبقيه في أبي الحلل .

ارتجفت تامارا وغاصت أكثر في مقعد السيارة الوثير . . وأحست بالم  
غريب يدب إلى قرارة قلبها . . أمر لا يصدق أن يكون لهذا الألم علاقة  
بجيرالد سومرفيلد ، وبذلك المرأة الجميلة الشابة ، التي لا يمكن التكهن  
بأسرارها ، والتي تعيش في مزرعة بوكسهول .

\*\*\*

#### ٤ - رجل يعرف طريقه

لم تشاهد تامارا فجراً مثل هذا من قبل . . كانت غيوم وردية شاعرية ،  
تبحر بيضاء في سماء ناعمة بلون الليلك . . والنسيم الغربي العليل ، كان  
يحرك الأشجار والشجيرات الصغيرة .

ارتدت بذلة زرقاء شاحبة من القطن وبلوزة بيضاء حريرية دون أكمام . .  
هكذا ليتمكنها من أن تكون لائقة ، وباردة معاً . لم تأخذ من صينية الفطور التي  
جاء بها الخادم سوى كوب عصير الفاكهة ، وقطعة توست . .

في الثامنة إلا عشرين دقيقة وصلت السيارة الرمادية . . وأطلت تامارا  
برأسها من باب غرفة ليليان المفتوح .

- هل أنت مستيقظة؟ أنا ذاهبة الآن .

رفعت ليليان رأساً مثقلاً بالنعاس . . وقالت تنصحها :

- كوني حذرة مع هذا الرجل . . مع السلامة .

كان جيرالد في الردهة . . بينما كانت تامارا تنزل السلم رفع رأسه ،  
فأحست بضعف يتملك ركبتيها . . فأكملت طريقها بثبات ، وهو ينسجم لها  
ابتناسمة خاصة . . وقال ينظر إليها مقيماً :

- صباح الخير . . تبدين كتوع نادر من الزهر البري الأزرق .

لم نستطع إلا أن نترد الابتسام له :

- كنت أتساءل فيما إذا كان علي ارتداء شيء يناسب الملاحظة أكثر .

- أنت مناسبة تماماً هكذا ، فالرحلة نصف رسمية . . حين يكون السير

همفري غائباً لا أجد وقتاً للراحة . . لكننا سنعقد اتفاقاً . . حين يعود بعد

أيام، سأخذ يوم عطلة وسنبحر إلى جزيرة «ماناي». . . وسنعيش لبضع ساعات على ما نستطيع اصطياًه من البحر، ونطبخه على نار المخيم، وستحدث كما لم نتحدث من قبل. . . موافقة؟

فقدت ابتسامتها العفوية. . . حين يعود السير همفري، لن يكون لجيرالد سومرفيلد ما يقوله لتامارا فليتبشر. . . لكنها هزت رأسها وقالت:

- موافقة. . . لكنني لن أطلبك بالوفاء بالوعد.

- أنت خائفة من قضاء يوم معي وحدك؟

- سأقوم بهذا اليوم. . . أليس كذلك؟

- الأمر مختلف. . . اليوم لدي عمل أقوم به. . . وستقابل المفوض المساعد عند كل محطة. . . وهذا ما يجعل الرحلة لطيفة. . . وأمنة.

في الخارج، نادتهما ليليان، وأظلت من شرفتها في روب بلون الكرز، وقالت ناعسة:

- جيرالد! أترد على سؤال قبل أن تنطلق في «جندولك»؟

لوح لها بيده:

- ادخلي. . . أنت عاز على المقر.

ردت بوقاحة:

- هذا المكان العتيق بحاجة إلى بعض البقع القرمزية غير المألوفة. . .

قلت لك: أتجيب عن سؤالتي؟

- أجل. . . سؤال واحد فقط. . . ما هو؟

- هل ستغازل ليليان؟

احمرّ وجه تامارا بشدة. لكن جيرالد بدا وكأنه يفكر بالأمر. . . أخيراً قال:

بأسي:

- سأعطيك الرد المناسب: هذا وقف على أشياء كثيرة!

ضحكت ليليان، وجلست تامارا بسرعة في مقعدها فلوح جيرالد دون أي اضطراب مودعاً، ثم دخل السيارة.

قال لها وهما منطلقان إلى خارج المقر:

- هناك فائدة واحدة من امرأة كهذه. . . تعرفين تماماً موقعك منها.

ولا بد كذلك أنه يعرف موقعه تماماً من فلورا بوكسهول. . . لكن تامارا كانت مصممة أن لا تشارك فلورا بأي تفكير اليوم.

كانت شوارع مونينغ نظيفة ولم نكتظ بعد. . . بالرغم من وجود عربة من البامبو يجرها ثور، تفرغ حملها من الفاكهة والخضار، مما اضطر السيارة

للتسلل كالأفعى عبر رصيف الميناء.

أوقف جيرالد السيارة وأقفل أبوابها، مشيراً إلى مرسى خشبي قصير، مربوط إليه مركب بخاري أبيض أنيق.

- هذا هو مركبنا، وقد سبقنا البحارة إليه.

كان البحارة كناية عن ولددين بثياب بيضاء جميلة، ألقيا التحية، ووقفا وبقفة استعداد متصلة إلى أن أجرى جيرالد تفتيشه الروتيني وأعطى الأمر

بالانطلاق.

انطلقت المركبة الحكومية كالسهم، نحو المياه العميقة، واتخذت مساراً، الصخور البركانية اللماعة والخضرة الكثيفة إلى جهة، والبحر

الواسع الأزرق إلى الجهة الأخرى، بسرعة لا شك ستوصلهما بعد ساعة إلى أول محطة لهما.

في الكابينة، فتح جيرالد حقيبة أوراقه، واختار أول كومة أوراق يحتاجها. . . وقدم علبة السكاثر إلى تامارا، وجلس إلى جانبها. . . يسألها:

هل كل شيء على مايرام؟

ردت بامتنان:

- الطقس رائع. . . إنه أبرد طقس صادفته منذ وصولي. . . ولا أستطيع أن أفهم لماذا لا يعيش السكان في قوارب منزلية!

- إنها مسألة نظام، كما أخشى. . .

سألت:

- متى يبدأ موسم الأعاصير؟

- بعد شهر من الآن يصبح الجو حاراً بالفعل. بعد ذلك، ولأربعة أشهر، نحصل على إنذارات متقطعة من محطة الأرصاد. في «ماناي». لا تدعي

التفكير بهذا برعبك. . . ستكونين آمنة تماماً في المقر.

كان هادئاً، وساحراً، غير مضطرب، ولا مرتبك أبداً. أشار إلى  
اليابسة، وأخبرها أسماء الأماكن المحلية، حين بدت أول قرية، جعلها  
تحفظ اسم الرئيس لأن العجوز يحب الإطراء. . فاستدارت إليه بلهفة:

- ستقدمني إليه على أنني ابنة الحاكم. . هل ستفعل؟  
- ولم لا؟ سيحمررون ابنتها جاً.

اضطرت إلى إخفاض نظرها عنه لكنها قالت بالحاح:  
- أرجوك! قدمني فقط على أنني زائرة.

- أنت متوترة؟ لكن هذا سخيف. . والدك رجل محبوب لهؤلاء  
الناس. ويعرفون أنك هنا. . فهم يعرفون كل شيء. . وسترضي زيارتك لهم  
غروورهم.

- إن لم تقدمني لهم بالصفة التي أريدها فلن أنزل إلى الشاطئ. .  
من المستحيل عليها أن تشرح له سبب هلع قلبها لفكرة خداع أهل  
الجزيرة البسطاء.

- حسن جداً. . أنت زائرة، مع أنني أعتقد أن هذا غباء. لقد شحب  
لونك. . فهل أصبت بدوار البحر؟  
- أبداً.

- هل أنت واثقة؟ سأعيدك في المركب البخاري، وأتابع السفر برأ مع  
المفوض المساعد.

- لا تفتعل مشكلة يا جيرالد. . أنا بخير مثلك تماماً. . وكوني لم أتفق  
معك في هذه النقطة بالذات لا يعني أنني مريضة!

ابتسم ابتسامة صغيرة مأكرة، ومع أنها مترنمة، لكن وجهه النحيل كان  
يخلو من التعبير، وفكرت يائسة أنها لن تعرف أبداً بماذا يفكر. . مع أن هذا  
لا يهم، أو يمكن أن يهم. سيأتي الوقت الذي لن تعود تخطر بباله أبداً.

اقترب المركب من خليج صغير. . ومع أنهما كانا يقفان جنباً إلى جنب  
إلا أنه بدا مبتعداً عنها، منعزلاً متعجرفاً.

كانت بيوت القرية مبنية على عمدان. . مجموعة من البيوت المبنية من  
قصب البامبو والعشب ممتدة إلى الخلف من الشاطئ تحدها أشجار نخيل،

- ولماذا أخاف أكثر من غيري؟

فنظر إليها نظرة حيرى وساخرة ثم قال:

- أي تجربة جديدة يمكن أن تكون مرعبة، كما هي مثيرة للاهتمام. . لا  
تنكري هذا، وتذكري أول عناق لك.

استوعبت مزاجه الممازح وضحكت بخفة:

- وماذا تتوقع مني أن أقول لهذا: أوه. . أرجوك سيدي. . لم يعانقني  
أحد بعد! أتصدق هذا؟

- نظراً لرحلاتك الواسعة. . لا.

- أعتقد أن حكمتك مبني على وجهة نظر رجل. .

ردبتكاسل:

- شخصياً. . هذا النوع من العلاقات بدا لي دائماً مضيعة للوقت. .

هدف وجودي هو عملي فقط.

ردت بحدة لاذعة:

- أعرف. .

قاطعها بخشونة:

- لقد عملت كثيراً لصالح بلادي. . ولا يمكن أن تنكري عليّ التمتع  
بالحب. . أليس كذلك؟

- لا. . لكنني فقط أشك في أن تحس بالحب. . لا أشك أنك ستتزوج  
لكن حين تفعل هذا، لن يكون السبب أنك وجدت امرأة لا تستطيع العيش من  
دونها.

سألها بصوت مثير:

- ألا تظنين هذا؟. . هناك سحرٌ في البحر، يجعل الناس يشعرون أكثر  
بوجود بعضهم. . ألا تشعرين بهذا؟

- قليلاً. . بشكل مبهم. . وأتساءل ما هو؟  
هز كتفيه:

- الإحساس بالعزلة، كما أعتقد. على العموم، أستطيع القول إن هذا  
مفيد، بين فترة وأخرى.

واصطف أهل القرية فوق الممشى القصير للمرسى حتى مبني طيني فهمت تامارا أنه مركز المحاكمية المحلية . . داخل الجدران الباردة التقت بالمفوض المساعد ومعه رجل نحيل يرتدي تنورة ملونة، فوقها سترة من أفضل طراز «سبور» إنكليزي، عرفت أنه الرئيس .

بعد التحيات المليئة بتقديم الزهور، اتخذ جيرالد مركزه على رأس طاولة مع المفوض المساعد على يساره والرئيس إلى يمينه. تمكنت تامارا، من مقعدها المنفرد في زاوية قاعة المحكمة، من رؤية النظارة والحاكم معاً. الرئيس، كان فخوراً بإنكليزيته، ومع أن جيرالد لا يجد صعوبة في فهم اللهجة المحلية، إلا أن كل جملة كانت تترجم له بدقة. . بالنسبة إلى تامارا، التي اختبرت مدى سلطته، كانت كياسته التي لم نخذله أبداً، مثيرة للعجب. وبعد ذلك، استمع إلى الشكاوى. حين انتهى عرض الشكاوى، تقدم رجل خجول بطلب. . لديه ابن ذكي جداً لم يعد بإمكان الأستاذ في الإرسالية أن يعلمه المزيد. . ويحب أن يذهب الولد إلى سنغافورة ويتعلم ليصبح طبيباً أو محامياً.

سمعه جيرالد، ثم مال عبر الطاولة وقال له:

- أنتي بابنك. . سأتكلم معه.

تقدم الولد باهتمام، صبي ممتلئ الجسم، أسود الشعر في الثانية عشر من عمره يرتدي الشورت الكاكي الجديد وقميص أبيض. . وسأله جيرالد بالإنكليزية:

- أنتحب المدرسة؟

- أجل إنها أفضل من أي شيء آخر.

- قال والدك إن الأستاذ في الإرسالية علمك كل ما يعرفه. أتصدق هذا؟ رد الولد بأسي: لا.

- لماذا إذن تتوسل لأبويك لإرسالك إلى سنغافورة؟

- لظني أنها الأفضل. . فأنا لا أحب العمل في الحقول، أريد أن أصبح متعلماً.

- من لا يتعب من العمل يكون متعلماً. . والعمل في الحقول جيد

للجميع. حين كنت صغيراً كنت أساعد في قطع وتحميل قصب السكر من مزرعة أبي.

ارتفع الوجه المستدير، يظهر دمة تكاد تجري من كل عين سوداء لماعة:

- وهل هذا صحيح؟ أنا لا أكره الحقول، لكنني خشيت أن أصبح مثل أخوتي.

توترت أعصاب تامارا تلقائياً. . أجل، الولد ذكي. . لقد شاهد أخوته يتعدون عن مدرسة الإرسالية ويكرسون أنفسهم للأرض. . حاجة عميقة، لا يعرف مصدرها في داخله كانت تجعله يثور ضد مصير مشابه لنفسه.

نظرت إلى جيرالد بتوسل صامت، لكن الوجه المتباعد كان لا يزال يميل إلى الولد الأسمر اللون. وقال:

- عد إلى مدرسة الإرسالية لسنة. . واعمل مخلصاً لوالدك أيضاً. . في نهاية السنة، سأحصل على تقرير من معلمك في الإرسالية.

سأله الولد متلهفاً:

- وبعد ذلك؟

- ربما أجد أنك كنت متعلماً جيداً، وإبناً رائعاً، معاً. . ولسوف أوصي بك لمنحة دراسة في سنغافورة.

حين وقف جيرالد، وقف الناس معه، وبقوا صامتين إلى أن مر بين صفوفهم إلى الهواء الطلق.

استرخت مشاعر تامارا وهم يغادرون الخليج. . أحد العاملين في المركب أعدّ لهما الشاي، وفتح علبة بسكوت. . بينما وقع جيرالد ما في يده من أوراق كان قد انتهى منها في جيب خلفي من حقيبة أوراقه، وأخرج غيرها، استعداداً للمحطة التالية. ثم استرخى معها في الكابينة، وتناول فنجان الشاي. .

بطريقة عفوية، أشار إلى التشكيل السوي، للصخور المرجانية، وإلى الخطوط الزهرية المائلة إلى لون الصدأ تحت الماء حيث لا زال الجرف الصخري موجوداً. . وهزت له رأسها، دون أن تعلق. . بعد فنجان الشاي

الثاني، نظر إليها فنظرت بدورها ساخرة متسلية.

- أنت مشغولة الفكر على غير عادة.. ولا أظنك كنت تستمعين إلى ما أقول.

- بلى.. كنت أستمع..

- لكنك كنت تفكرين بشيء آخر، على أي حال.

- أجل.. هذا صحيح.. كنت أفكر بالولد في قاعة المحكمة.. قد يبدو الأمر سخيفاً، لكنه بدا لي ذكياً بالفعل. وكنت خائفة أن تخذله.. وأنا سعيدة أنك لم تفعل.

- أوه.. هكذا إذن.. لا يمكن أن تكون عاطفيين في مسائل كهذه..

- ألا تخاف أبداً؟

- ولماذا أخاف؟

- المسؤولية ثقيلة. كنت أظن أن..

وصمتت، وأحست بنظراته الثاقبة الفضولية، فسأل بيروود:

- إلى ماذا تلمحين بالضبط؟

ضحكت بارتباك:

- لست واثقة.. فالسير همفري حاكم منذ إحدى عشرة سنة، أليس

كذلك؟ هل كان المفوض الأعلى قبل ذلك؟

أحست بسكون متجمد يلمعه.. بدعرجت ما قالته كلمة كلمة، لكن

ما عدا «السير همفري» لم تستطع تذكر شيء تستحق عليه التوبيخ. وكانت

واثقة أن ليليان لم تلاحظ خطوات أيها في عمله منذ إحدى عشرة سنة، كانت

يومها في العاشرة.

فهل أصابت الوتر الحساس في اعتداد جيرالد بنفسه؟ هل أصابت

طموحه المتدفع ليصل إلى الصف الأعلى؟ هل أحس، ربما عبر أحاديثهما

المتبادلة، كراهيتها أن تساعد للوصول إلى هدفه؟

قال بخشونة، مع اقتراح ابتسامة في عينيه:

- أجل.. السير همفري كان المفوض الأعلى.

وضع فنجانه من يده، وبدون كلمة أخرى خرج إلى سطح المركب

الضيقة.

بحلول الظهيرة، كانا قد أنما زيارة أربع قرى، وفي الثانية عشرة

والنصف، توقفنا عند الخامسة. حيث تناولا الطعام في منزل ممثل الحكومة،

الذي كان يعمش مع خليط من الحيوانات الأليفة، في جناح ملاصق لقاعة

المحكمة.. وفي الواحدة والنصف انطلقا مجدداً.

بعد أيام من هذا.. لم نستطع تامارا إلا أن تعترف لنفسها بأن الرحلة

البحرية مع جيرالد، كانت المناسبة الحاسمة التي تأتي إلى كل امرأة تقع في

الحب دون إرادة منها. لكنها في سياق ذلك اليوم شاهدت قساوته مع

المخطئين، وعدله الدقيق، والكرام أحياناً، والدمث الأخلاق.. وإلى أن

كان قرص الشمس الناري قد بدأ ينزل نحو الأفق، كانت تعرف، بما لا يدع

مجالاً للشك، أن جيرالد سومرفيلد، ليس مضطراً للزواج من ليليان ميلوز،

ولا من أي ابنة حاكم آخر ليؤمن لنفسه شرفاً أرفع.. فلسوف يصل القمة،

كائنات من سيتزوج.

وأقبل المغيب حين أطلت عليهما «مونيغ».. من الكابينة شد جيرالد

رباطات حقيبة أوراقه، وقال لها مبتسماً:

- لقد تحملت بشكل رائع.. بالنسبة لي تبدين مشرقة براقاً كما كنت

تماماً هذا الصباح.

- أنا أشعر بذبول، لكنني مع ذلك قوية.

- ألسنت أسفة لمجيتك؟

- بالطبع لا.. كانت تجربة رائعة.. وأنا ممتنة لك لمصاحبتني يا

جيرالد.. لم أقصد قول شيء يجرحك هذا الصباح.

- لم تسببي لي أي جرح.. انسي الأمر.

- كان يوماً جميلاً جداً حتى أنني..

دس يده تحت ذراعها قائلاً:

- أرفض المشاركة في هذا النوع من النقاش إلى أن تستعيدني نشاطك..

نعالي إلى الخارج لتتفرج على أضواء البلدة.

هكذا وقفت معه في الهواء العليل، ذراعها قاسية رقيقة إلى جانبها،

وراقبت معه الأضواء المنتشرة بقوة حول «مونيغ» . . كانت فرصة للهدوء والصمت المطبق، عرفت أنها ستذكرها باشتياق دائم.

توقف المركب، وساعدها جيرالد على النزول إلى الرصيف الخشبي، وساراً معاً حتى الطريق . . قرب السيارة النعياً بالدكتور ماكتافش الذي سأله: كيف كان يومكما؟

رد جيرالد: رائع.

- وأنت آنسة ميلوز؟ خطوات جيرالد تحتاج إلى صبر طويل، أليس كذلك؟ يحتاج إلى شخص مثلك ليروضه.

بدا جيرالد وكأنه يضحك:

- أنت ثرثار كبير يا دكتور.

- ربما . . لكنني أعرف عمّ أثرثر . .

والثفت ثابته إلى تامارا:

- إذا كنت تحبين الإثارة، تولي أمره، فقلب الرجل دائماً يحتوي على الكثير . .

كانت تامارا ممتنة، لأن أياً منهما لا يستطيع مشاهدة المدّ الأحمر الذي تصاعد من عنقها إلى رأسها . . واستطاعت القول بثبات: سأفكر بالأمر.

ثم تمتمت بتحية المساء . وفتح جيرالد لها السيارة لتصعد في المقعد الأمامي . . لكنه لم ينضم إليها على الفور، فقد استمر الرجلان في الحديث، وشاهدت الطبيب يهز كتفيه، وسمعت جزءاً من رد جيرالد:

- يستحق أكثر من ارتجاج دماغ . . فالرجل خنزير قدر!

ثم افترقا.

خفق قلبها . . إنها يتحدثان دون شك عن ريك بوكسهول . . وجيرالد يريد إبقاء نفسه على علم مستمر بإحداث المزرعة . قال وهو يجلس قربها:

- أنت حقاً متعبة . . أرى هذا الآن بوضوح . . يجب أن تنامي باكراً، وتمضي يوماً هادئاً في الغد.

لم يكونا بحاجة للكلام والسيارة تتسلق بهما خارج «مونيغ». الأسواق

كانت مكتظة بالناس الذين يتدفقون بكثافة في الشوارع، إلى أن دخلا الجادة التي تحف بها الأشجار عند بداية الطريق إلى «كالاباهيل».

في المقر، سأله تامارا بأدب:

- ألن تدخل لتناول شراب ما؟

- شكراً، لكن لوقت قصير . . أمامي عمل كثير هذا المساء.

استدار حول السيارة ليصعد معها السلم . . إنه لا يتعب بينما روحها المعنوية كانت تهبط بسرعة . . تناولت مرتباً بارداً ثم سارت وإياه إلى التراس، وهو يواجهها بدا لها وجهه النحيل الأسمر قريباً جداً . ثم قال ببرود شديد:

- ها قد جاء رفيق ستك الأخيرة . . هل أبعده عنك؟

باندفاع ردت:

- لا . . لا تفعل هذا . .

ارتفع حاجبا جيرالد:

- وهل أنت في حالة تسمح لك باحتمال نبش الماضي، الليلة؟

تصلبت، بالرغم منها.

- أظن هذا سيكون أمراً لطيفاً . . يدعو للاسترخاء.

- استعادة ذكرى حب، قد يكون مثيراً للأعصاب أكثر من أن يكون لطيفاً.

فكرت بما أفضت لها فلورا، وقالت بلهجة خفيفة:

- أوه . . لكن لا شيء فاطر في بارني . . إنه عزيز.

صعد بارني السلم، كان جذاباً، في سترته البيضاء:

- مرحباً يا ليليان . . مساء الخير يا سيدي. جئت إلى هنا مرتين. هناك حفلة عند آل كايل ونساءلت إذا كنت ترغبين في الذهاب إلى هناك معي؟

رد جيرالد بثقة:

- كان للآنسة ميلوز يوم طويل متعب.

بسمه تامارا كانت قاسية وبراقة . . صوتها كان يعاثر بسمتها . . فقد

كانت تغالب دموعاً تكاد تندفع:

- سأحب أن أذهب معك يا بارني . أدخل وتناول شراباً بينما أُغْبِر ملاسي .

لم يعترض جيرالد . . . بل نظر إلى بارني ، وكأنه نموذج غريب مشير للاهتمام يستحق أن يكون في حديقة حيوان . ثم ودع تامارا دون النظر إليها ، وصعد سيارته ليقودها مبتعداً .

بينما كانت تغير ملابسها ، كانت تعرف أنها مرهقة أكثر من أن تستطيع التمتع بالسهرة ولو كانت بسيطة . . . فقد كان رأسها يؤلمها من حدة انبهارها بالشمس المنعكسة من البحر ، وفكرها مشغول بذلك الحديث اللعين مع فلورا بالأمس .

لم يكن مع بارني سيارة ، ولم تستدعي تامارا السائق ، فقد كان منزل عائلة كايل لا يبعد أكثر من نصف ميل . . . هكذا سارا عبر الحداثق باتجاه بوابة خاصة ، اعتاد بارني أن يستخدمها .

طبعاً . . . كانت ليليان هناك . تتألق بفستان أخضر مطرز ، تقسم اهتمامها دون مساواة بين الكابتن سمولود والمحاسب الحكومي . وقالت لتامارا :  
- لماذا اخترت بارني يا حبيبتي ؟ كرد فعل على جيرالد ؟

رد عليها بارني يتسم بخبث :  
- ألا تتمنين لو تستطيعين التغيير عن «ذنب الحصان» العجوز ؟  
الرد كان مختصراً وحلوا :

- يجب أن تراه وهو في بذته العسكرية . . . وفوق صهوة جواد !  
بعد الرد ، خرجت ليليان إلى الشرفة متأبطة ذراع شخص ما . . . وقطعت تامارا غرفة الاستقبال لتحدث إلى السيدة كايل ، النصف مقعدة .

بعد ساعتين ، أعادها بارني إلى المقر ، وصعدت إلى غرفتها لتنام ، لكنها بقيت مستلقية تفكر بألم ، ما الذي تسبب بالإحساس بالهجران ، والذي أخذ يحتل قلبها .

\*\*\*

تسلل أسبوع دون أحداث تُذكر . ولم تصل أخبار أخرى من السير همفري ، وهذا على الأرجح يعني أنه لا يوجد هناك شيء جديد ليخبرهم إياه . والجزيرة التي يزورها تقع في آخر مجموعة «توناك» على بُعد ست وثلاثين ساعة سفر باليخت الحكومي . فالحاكم لا يحب السفر بالطائرة .

في أكثر تجاولات تامارا ، كان بارني وايتمور ، رفيقها . . . رسمياً . لم يكن لديه شيء يفعله إلى أن يعود السير همفري ، لكنه تلقى أوامره من جيرالد ، أن يحضر كل صباح إلى المكاتب الحكومية ليعود نفسه على العمل فيها . وقال بارني بحذر لتامارا ، بعد ظهر يوم وهما يتمشيان نحو الصخور :

- لا يبدو أنه يتق بي . . . وأخشى أن تنخفض ثقته بي أكثر ساعة يعرف أنني أساعدك وليليان في خداعه .

- لا تقلق يا بارني . . . متى حان الوقت سنشرح كل شيء ، وأنا واثقة أنه سيفهم موقفك .

- لكن لنفترض أنه قال للسير همفري ؟ فما هي الورطة التي سأكون فيها ساعتها ؟

- سنتوسل إليه أن لا يقول له شيئاً . . . لكن حتى ولو كشف الأمر ، فأنا واثقة أن السير همفري سيكون متسامحاً ، صحيح أنه لم ير ابنته كثيراً خلال السنوات الأخيرة . . . لكنه يعرفها جيداً .

- لا أريده أن يكون غاضباً منها !  
خطت تامارا بخفة من على العشب إلى صخرة بارزة ، وقالت :

- أيها الرجل العزيز . . . لن يصل إلى نتيجة لو غضب . . . فلسوف تعطيه ابتسامة مليئة بالدموع تذيبه ، وقبله تطلب الغفران .  
ضحك بارني ، ولو بخشونة ، وقال بعفوية :

- لطالما كانت لها طريقتها ، وكل شيء يتحول دائماً إلى صالحها .  
أنظنين أن هناك شيئاً جدياً بينها وبين الكولونيل ؟

- إنها تلهو به .  
- وهل . . . تلهو . . . بي أيضاً ؟

- لا . . لكنها دعوتك «بولدوغ» الرهيب .  
رد بكآبة :

- يا إلهي . . حقاً؟ هل أبدولك هكذا؟  
هزت تامارا رأسها :

- أنت عنيد طيب . . وحافظ على رباطة جأشك يا بارني . . فلا بد من أن  
تضجر من الدلال والإعجاب .

تمسك، بكرامته، كأبي شاب وقور . . وقال :

- أوه . . حسن جداً . . ستكون حملاً متعباً كزوجة على أي حال . . ولن  
أجرؤ على طلب الزواج منها إلا إذا أحببتي بشدة . .

- تأكد من أنها حين تقع في الحب، ستقع فيه كما تفعل كل شيء تصمم  
عليه . . وكم سيكون الرجل الذي يحظى بها محظوظاً . . ففيها أكثر بكثير من  
واجهتها البراقة .

التقط صدفة كبيرة الحجم، ومرر أصبعه الأول في داخلها حيث بيت  
اللؤلؤ، وترك موضوع ليليان بحزم، ليسأل :

- هل سمعت بأمر منطقة اللؤلؤ خارج الجرف المرجاني بالقرب من  
جزيرة «ماناي»؟ لو حصلت على إذن، فهل تذهبين معي للتفرج عليها؟  
- سأفعل .

وتذكرت أنها قد تفكر أكثر من مرة قبل الذهاب في رحلة أخرى مع  
جيريالد . .

- عظيم . . سأرى ما أستطيع فعله بخصوص هذا الأمر .

بارني مرافق ممتاز، ولا يتكلم كثيراً عن ليليان . . صحيح أنه يذكرها  
كلما التقى بتامارا، لكنه كان يراعي شعور تامارا إلى درجة أنه لا يصر على  
حديث لن يكون له نتيجة . ثم أنه يكن الإعجاب لتامارا . . كان حلو المعشر،  
مشيراً للاهتمام في العديد من الأشياء، ويهتم بأمر تهتم بها . وهو الوحيد،  
من بين كل سكان بولاني، ما عدا ليليان الذي يعرف هويتها الحقيقية،  
وتستطيع أن تكون على طبيعتها معه .

يوم السبت أخذها إلى مباراة «بولو» . . عادة، كل الرياضات المنظمة

تجري في فترة المساء الباردة القصيرة . . فلذلك بدأت مباراة البولو عند  
الخامسة تماماً . وأخذوا يتفرجان عليها من المدرج الخشبي الصغير  
المسقوف . . خلال فترة الراحة، قبل الجولة الأخيرة، تحرك بضعة متفرجين  
نحو السرادق لطلب المرطبات . . وشاهدت تامارا فلورا يوكسهول في الممر  
الذي يقع تحتها تماماً، وهي تسير مع رجل لا يمكن أن يكون سوى  
شقيقها . كان له نفس الشعر الأحمر «الماهوغوني» والأنف التوأم لأنها . .

أدارت فلورا رأسها، لتتنظر في الوجوه حول المدرج . . وعلى حين  
غرة، تركزت العينان المتعددتا الألوان وبرقتا . . ونادت : مرحباً ليليان .

مالت تامارا إلى الأمام :

- كيف حالك يا فلورا . . وكيف أصبح أخاك؟

بينما كان التعارف يجري، تفرست تامارا جيداً بريك، وتساءلت لماذا  
لم تقنع نساء «كالاباهيل» رجالهن أن لا ضرر حقيقي يكمن في ريك  
يوكسهول . . في المظهر، كان نحيلاً جذاباً، أنيق الملبس . . وقال ريك  
مقترحاً :

- لماذا لا تأنيان معنا لشيء من المرطبات؟ فعند نهاية المباراة سيكون  
المقصف مكتظاً جداً .

كان السرادق كبيراً لكن متواضع البناء، وله طاولة بيع طويلة في نهايته .  
أما المقاعد فكانت حول الجدران، وبعضاً منها في المنتصف .

بعد أن جلست الفئتان، ذهب بارني وريك إلى طاولة البيع، وتراجعت  
فلورا إلى الورا تنظر إلى تامارا بابتسامة حادة . . كانت تبدو كقطعة ملونة  
لعتت لتوها كل الحليب . . وقالت :

- يبدو بارني وایتمور لطيفاً . . أنت محظوظة . . تحظين بأول اهتمام من  
كل الرجال . . رأيك مع تمشيان في البلدة . هل أنت مغرمة به؟

أجفلت تامارا :

- مغرمة؟ لن أقول هذا . . بارني لا عمل له إلى أن يعود السير همفري .  
والجزيرة جديدة عليه كما هي بالنسبة لي، وهكذا نخرج لنتكشفيها معاً .

هزت رأسها كمن يعرف :

- تستكشفانها . أظنكما محظوظان ببعضكما .

تلاشت ابتسامتها بسرعة غريبة، لتترك وجهها ضبابياً وكأنها تتألم . .  
إنها فعلاً فنانة في التعبير . .

- كنت خائفة جداً من أن تكوني منجذبة إلى جيرالد . . وأحس براحة  
كبرى أنك لست هكذا .

ابتلعت تامارا ريقها لتقوية صوتها :

- حقاً؟ وما الفرق بالنسبة لك لو كنت منجذبة إليه؟

ردت، وكأنما بسداجة :

- حسناً . . ستكون لك أفضلية غير عادلة . . وأنت لست بحاجة إلى

صداقته مثلي . . وسيتحطم قلبي لو خسرت ثقة جيرالد . .

ثم استرخت أساريرها وعادت إلى طبيعتها :

- ها قد جاء الرجلان .

افترق الأربعة خارج المقصف . . كان ريك لا يزال لطيفاً لكن مع بعض

الضجر، وبقيت فلورا تبدو كالقטיפطة الملونة التي لعقت الحليب .

قبل أن يصل بارني وتامارا إلى سيارة المقر، حياه أحد المسؤولين

الحكوميين الشبان :

- هاي وايتمور . . مساء الخير آنسة ميلوز . . آسف وايتمور . . لا

يمكنك الحصول على الإذن بزيارة حقل اللؤلؤ . . لقد رفض المفوض العام

طلبك !

- لماذا؟

- لم يعط سبباً . . يمكنك الاحتجاج، لكنني لا أنصحك، فهو في مزاج

سيء هذه الأيام .

هز بارني كتفيه :

- أظن أن له الكلمة النهائية، شكراً على أي حال .

كانا في منتصف الطريق إلى المقر، حين قال متجهماً :

- بدأت أتمنى لو أنني لم أنقدم إلى هذا المركز مع السير همفري . . فمنذ

وصولي وكل شيء يعاكسني . . أخطأت حين قلت لجيرالد سومرفيلد إنني

أعرف ليليان ميلوز من انكلترا، ومنذ ذلك الوقت وأنا أرتكب المزيد من  
الأخطاء . إنه حظ سيء لعين . . كل الرسميين الحكوميين ممن تحدثت

معهم، سمح له بالتفرج على حقول اللؤلؤ . فلماذا أتلقى أنا الرفض؟

- لا بد أن عنده عذراً . ربما يفضل أن لا تذهب قبل عودة السير همفري .

- كان يمكنه قول هذا . . لم يكن لي عدو في حياتي من قبل، لكن يبدو

أنني سأعوض عن هذا الآن . . جيرالد يوازي عشرة أعداء !

- لا تجعل للأمر هذه الأهمية . . إنه لم يكن يوماً ظالماً . . لكن بغياب

السير همفري، لديه الكثير يشغله .

- أعرف أنني أتكلم كالموهن العزم . . لكنه يجعلني أحس هكذا . . إنه

يعاملني كطفل .

- سيشرح لك السبب يوماً .

كانت تامارا تكلم بارني هكذا، مع أنها داخلياً كانت تتلظى غيظاً ضد

جيرالد . . فهو من طلب منها الترحيب ببارني ومساعدته على الاستقرار

بسعادة .

منذ الرحلة البحرية حول الجزيرة، لم تتواجد معه لوحدهما مطلقاً . مع

أنهما التقيا بضع مرات .

أنزلت السيارة بارني عند منزل آل كايل، ثم أوصلت تامارا إلى

المقر . . الليلة ستكون لوحدها، فليليان ستذهب مع آخرين إلى محطة

الأبحاث للاحتفال بالذكرى السنوية لزواج أحدهم . . حين وصلت غرفتها،

سمعت دندنة غناء أجش، أعلمها أن ليليان لا زالت ترتدي ثيابها . فقرعت

باب غرفتها وفتحته .

التفتت ليليان عن المرأة :

- تبدين متعبة يا حبيبتي . هل جئت بأحد معك؟

- إذا كنت تعنين بارني . . فلا .

رشت ليليان العطر من زجاجتها على شعرها، وضمت شفيتها وهي

تضع عليهما الأحمر .

- كنت معه طوال بعد الظهر، أليس كذلك؟ كيف حاله هذه الأيام؟

- لماذا لا تمضين بضع ساعات معه وتكتشفين هذا بنفسك؟  
- قد أفعل هذا . . لمجرد التغيير عن «الجيش» . . مع أنني لا أرغب في  
حرمانك من مرافقتك الدائم .

ردت تامارا ساخرة:

- لك موافقتي . . ليليان، أعتقد أن الوقت حان ليعرف الجميع من نحن،  
كلما أطلنا المضي في هذا كلما تورطنا أكثر .  
تاوهت ليليان بحلاوة:

- يا لهذه اللحظات المناسبة للجدال! أنا خارجة للعشاء يا حلوتي!  
ويجب أن نقطع ثلاثين ميلاً قبل الثامنة .  
- هناك دائماً شيء تتذرعين به . . لو كلمتك غداً صباحاً، فستقولين إنك  
متعبة .

- وسأكون متعبة حقاً . لا أستطيع تصور سبب غيظك . . ما من أحد  
سيثورط سوى جيرالد . . وبالنسبة له لم نفعل بعد ما صممنا عليه . .

- ألا يمكن أن تكون تلك المرأة، فيلدز، مخطئة؟ بدت لي حقودة . .  
الآن، وقد عرفت جيرالد، أتصدقين فعلاً أنه قد يتزوج ليعزز مستقبله؟  
استعنت عينا ليليان باندهاش مذهول . وقالت باستغراب:

- ما الذي عرفته عنه؟ إنه كان كريماً مع بعض الرسميين الصغار، وإنه  
يراعي شعور الفتاة بوكسهول وأخيها؟ سمعت عنه كل شيء أيضاً، لكن هذا  
لم يصدمني . . إنه فاتن ساحر . . وكما قلت من قبل، يعجبني الرجل، لكنني  
لا زلت أراهن أنه يحب مركزه كثيراً .

- فلورا بوكسهول من رأيها أن جيرالد يحبها .

أجفلت ليليان، ثم هزت رأسها بإدراك:

- قد تكون محقة . . فالمرء لا يعرف شيئاً عن جيرالد . إنه ينظر إليها  
وكانها في السادسة عشرة من عمرها وشديدة الضعف . . مع ذلك، أنا والثقة  
تماماً أنه لن يتزوجها .

- لكننا لم نكتشف شيئاً يبرهن أنه بنوي الزواج من ليليان ميلوز!

ضحكت ليليان:

- لكنه أخذك في جولة حول الجزيرة!

- لقد أخذ ابنة الحاكم لتتفرج على أماكن سيطرة أبيها .

- ولم يحدث شيء؟

- لا شيء مطلقاً!

فتحت ليليان يديها ببراءة:

- هاك . . رأيت! هذا ما سيحصل إذا لم تقودي خطواته إلى البعيد

قليلاً . . ولن تحصيلي على نصف المرح الذي قد أحصل عليه أنا .

دوى صوت بوق سيارة، فتابعت:

- ها قد وصلت القافلة، يجب أن أذهب .

- لكن، اسمعي ليليان، لماذا لا يمكن أن تكون صريحتين معه؟ لو قلت

له لماذا بالضبط اتفقنا على تغيير الأسماء، سيدرك أنك لا تريدین اهتمامه،

وستكون راحة كبيرة لو . .

مالت ليليان إلى الأمام، لتضع اصبعها المعطر بأناقة على شفتي تامارا:

- لا تكوني كثيية إلى هذه الدرجة، هيا يا مدلتي . . أنت متجهمة جداً،

وعدت أنك أقول له لحظة تعرف أن أبي سيصل . . ولن يطول الأمر بعد الآن!

طبعت قبلة خفيفة على خد تامارا، وأخذت حقيبة يدها:

- أعرف أنني أتصرف بسوء نحوك . . لكنني سأعوض عن هذه

التصرفات . . عمت مساء!

عادت تامارا إلى غرفتها مبتسمة واستحمت، ولأنها وحدها، قررت

ارتداء روب المنزل الأزرق، وتناول العشاء على التراس الجانبي، الذي تطل

عليه أبواب غرفة الطعام الزجاجية .

كانت ليلة رائعة. القمر الجديد الأصفر كان مستلقياً على ظهره،

والنجوم التي لا تعد ولا تحصى تلقي شعاعاً شاحباً، كانت تنعكس عليه

أشجار النخيل . .

أنهت تامارا العشاء، ثم قربت كرسيها إلى جدار الشرفة . . أبعد الخدم

الطاولة، وخففوا أنوار غرفة الطعام لمصباح واحد فقط، حتى أنها لم تعد

تري سوى بضع أقدام من العشب وشجيرات الألبندر الزهرية، مع أنها كانت

تجلس خارج مجال النور . وسمعت صوت خطوات الحرس الرتيبة من  
الممر ، لكن بعد قليل ، جاءت أصوات خطوات مختلفة .

بسرعة أدارت رأسها ، عند مؤخر التراس ، شاهدت شخصاً طويلاً .  
فأخذ قلبها يخفق بإصرار غريب ، كما كان يفعل دائماً ، مؤخراً ، في وجود  
جيرالد .

وكانما في حركة دفاع عن النفس ، جلست دون حراك . لكن جيرالد نظر  
إلى التراس ، وأحست بجفاف بجتاح حلقها . . وأخذ يتقدم بخطوات صامتة  
عريضة .

قال بيروود :

- مساء الخير . . أكنت تتعمدين البقاء ساكنة؟

- أنا . . لم أكن أتوقع أحداً . . على الأقل ليس أنت . فالوقت متأخر .

- التاسعة فقط . . ذهبت إلى حيث يعرض الفيلم السينائي ، ولم أجدك .

فجئت إلى هنا أملأ أن أجدك لوحداً .

كانت لهجته لا زالت باردة ، دون تنازل ، ومع أنه تقدم ليقف إلى جانبها  
قرب الجدار ، إلا أنها بقيت جالسة نسند ذقنها بيدها ، تنظر باتجاه الحديقة .

- ولماذا أردت رؤيتي؟ أهنالك أخبار من السير همفري؟

- لا شأن لهذا بوالدك . سأقيم حفل عشاء مساء الأربعاء وأرغب أن

تحضره .

- شكراً كثيراً . . لك .

لكن هذا ليس سبباً لأن يرغب في رؤيتها لوحدها ، وعرفت أن المزيد

قادم ، فتوترت تترقب ، مع ذلك سألت دون تعبير :

- هل الحفلة للاحتفال بشيء ما؟

هز رأسه :

- السير همفري عادة يقيم حفلة مماثلة مرة في الشهر . . وهو غائب الآن

منذ مدة ، ومضى أكثر من شهر منذ آخر حفلة . . لقد مضى على وجودك هنا

خمسة أسابيع .

- يبدو لي وكان الوقت أكثر من هذا .

- أعتقد أن الحياة تقاس بمدى ما تستعملينها . . كيف تمتعت بمشاهدة  
أول مباراة بولو؟

رفعت رأسها إليه ، دون إرادة . . هل سيقول شيئاً الآن؟

- كانت مثيرة . . أكنت هناك؟

- لا . . لكن مساعدتي شاهدك . . لا تفهمي من هذا أنني أراقبك . ذكر

المساعد لي هذا لأنه شاهدك تجلسين مع ريك بوكسهول في المقهى .

- آه . . فهمت . . فلورا مسموح بها ، أما ريك . . فلا .

رد بحدة :

- لا داعي لأن تفسري الأمر هكذا . . فأنا آخر من يدين رجلاً . لكن ريك

ببساطة يسعى وراء المتاعب .

- في أول ليلة لي هنا ، طردت رجلاً من الجزيرة بتهمة الفساد . . وقلت

إنه تحول من سيء إلى أسوأ .

- لقد ساعدناه بقدر ما نستطيع . . لكننا لن نتسامح بوجود أحد يكون

المثل السيء .

- لكن ، ألا تظن أن من الممكن أن تكون عدالتكم هي التي تدفع أشباهه

إلى الانحراف؟ ينحرفون قليلاً ، فيقوم نظامكم بإدانتهم دون محاكمة مما

يدفعهم إلى الهبوط أكثر . . إنهم لا يملكون فرصة . . أنت متشدد جداً يا

جيرالد . وهذا ما يجعلك غير إنساني .

- وماذا بعد؟ تابعي!

- هذا كل شيء . . وإذا كنت قد أغضبت مفاهيمكم ، أعتذر . . لكن

لماذا تتوقع أنه إذا كان هناك رجل يتجه إلى الهاوية في هذا الجزء من العالم

فإن علينا أن نركله . .

تنفسه كان حاداً كالسيف .

- أنت لا فكرة لك أبداً عما تتحدثين . . وليس في نيتي التخبط في مآثر

ريك بوكسهول . . إنه جرد قدر ، لا يستحق أن يكون له أصدقاء ، ولا حتى

شقيقة كفلورا .

أحست بألم يعتصر أسفل حلقها . حتى أن صوتها لم يكن ثابتاً وهي

تسال:

- أكنت تريدني رفض دعوته .. حتى ولو أدى هذا إلى جرح مشاعر فلورا؟

قال بحزم:

- كانت ستفهم وتتقبل الموقف .. ولو أن وابتنور أمضى أوقاته مع الرجال، بدلاً من البقاء حول المقر كل يوم، لفهم أن ابنة السير همفري، لا يجب أن تُرى مع سكير مقامر محتال.  
- أوه .. إذن بارني كذلك مسجل في دفترك الأسود؟ كان يجب أن أعرف هذا؟

ووقفت على قدميها .. وأكملت مهاجمه بحدة:

- لقد تعمدت إزعاجه في كل وقت استطعته .. ويبدو أنك نسيت بأنك أنت من طلب مني مساعدته على الاستقرار هنا.  
تراجع بضعة إنشات ليسند كتفه إلى عمود .. ووجهه مبردٌ وخشن ..  
لكنها رأت التواء فمه وهو يرد ساخراً:

- لم أكن أدرك ساعتها أنه يرى نفسه حقاً مع زوجة والدها شهير .. من الآن وصاعداً أحلك من أية واجبات نحو وابتنور .. هذا إذا رغبت ..

هزت كتفيها النحيلتين لتخفي ارتجافهما .. وقالت متشنجة:

- أنت شخص لا يحتمل .. أنت تحب أن تخضع الآخرين لإرادتك ..  
أظن أن ما يعطيك الرضى الشديد، أن تعرف بأن بارني يحضر كل يوم إلى المكاتب الحكومية، مع أن لا عمل له هناك .. ولا بد أنك أحسست بالإثارة حين رفضت طلبه لزيارة حقول اللؤلؤ .. كم أنت .. مستبد متوحش!  
صمت قصير .. ثم كلمات كالحصى فوق الجليد:

- تصرف بال ضبط كما كان سيتصرف والدك في مثل هذه الظروف.  
- لا أصدق .. كل الرجال ذهبوا للتفرج على تلك المنطقه، ولا سبب

بدعو ..

قاطعها:

- أرفض مناقشة هذا .. ما يجري في الإدارة أمرٌ لا شأن لك فيه .. ولن

أستطيع مساعدتك إذا كنت قد انزعجت لأن بارني لم يحصل على ما يريد ..  
على أي حال، إذا كنت تشعرين بعطف شديد عليه، هناك الكثير مما تستطيعين إعطاءه له، لبعوض عما فاته ..

السخرية المهينة كانت أكثر وضوحاً من أن تتجاهلها .. وقالت بحدة:

- لا أظن أن هناك أي شيء آخر نقوله لبعضنا ..

رد بقسوة:

- على العكس .. لدينا الكثير الكثير نقوله .. مع أن هذا قد لا يكون

الوقت المناسب .. أترغبين في سبكاره؟

- لا .. شكرًا لك .. سأذهب إلى النوم ..

- أتصغين إليّ دون غضب لأقول لك شيئاً؟

- ليس وأنت تقوله بهذه اللهجة ..

ضحك باختصار:

- لا يمكنك توقع المداعبة من شخص دعوته لتوك بالمتسلط

المتوحش .. فلتترك هذا إلى وقت آخر ..

كانت يداها مطبقتان بشدة في جيبي روبيها، وفكها يؤلمها من الجهد

لإيقانه حازماً .. لم تشعر يوماً بمثل هذا البؤس .. جبرالد بقربها حتى تكاد

أن تلمسه بسهولة .. ذراعه، وجهه .. بإمكانها أن تمسك ذراعيه، وبحركة

بسيطة تصيح بينهما .. هذا مخيف .. إنه عذاب أن تكرهه وفي نفس الوقت

أن تتوق للإحساس بذراعيه حولها ..

كان للصمت صوت خفقان .. وكأن قلبها كان يخفق بصوت مرتفع قد

يسمعه .. وبدا مصمماً أن ينتظر إلى أن تتكلم هي ..

لكنها استدارت فجأة لتقطع التراس وتفتح باب غرفة الطعام .. وكان

خلفها تماماً .. كان قريباً منها حتى أنها وهي تصعد الدرجة الوحيدة لتصل إلى

الداخل، كان طرف الروب يلامس الأرض، وسرعان ما وطأ عليه،

فاستقامت بحدة، وتمزق طرف الروب ..

تمتم بذهول وانحنى يتفحصه .. ثم قال:

- أخشى أن يكون التمزق كبيراً .. وأنا آسف جداً .. ما كنت لأفعل هذا

طوعاً . . لم أكن أعرف ماذا تريدان .

كان يمسك مرفقها، وينظر إليها بندم صادق. لكن، في ضوء المصباح الوحيد الخفيف، لم تشاهد الاعتذار في عينيه، بل رأيت أن العينين الزرقاوين القاسيتين، كان فيهما تعب عميق . . وأنه، ولو لم يكن مبتسماً . . إلا أن تعابيره كانت تعني أي شيء، ما عدا الكراهية .

انحبت أنفاسها وقالت بارتباك:

- إنه طويل جداً . . أعرف هذا . . سأقطع هذه القطعة، وأصنع حاشية جديدة . . لا يهم أن يقصر قليلاً . .

نظر إلى وجهها بتفرس به . . نسمة هواء حلوة تلاعبت بخصلات بلون العسل على فودبها، بالنسبة لها كانت نسمة مليئة بعطر لم تعرف ما هو . . أبتت نفسها متماسكة، تحاول أن لا تهتم بتلك النظرة المتفحصة، وتلك اليد التي تمسك ذراعها . . كانت لحظة شديدة التركيز . . مليئة بالأحاسيس .

أعطاها شبح ابتسامة، وأسدل ذراعه:

- إن تنورة ممزقة، بالكاد تستحق مثل هذا التوتر . . أليس صحيحاً؟ كما أنك تنظرين إليّ، كما لو أننا قد تشاركنا في الإحساس بهزة أرضية .

دون ذكر الطريقة التي ينظر فيها إليها!

كان هناك القليل من الارتجاف في صوتها:

- نسيت التنورة . . هناك في الخارج، ظننتك في غضب مشتعل . . لكن في النور . . أتمنى لو أنني لم أغضبك منذ قليل . . لا بد أنك تمر في وقت رهيب . . تتحمل عملك الخاص، ونيابة الحاكم معاً .

رد بمرح متجههم:

- أستطيع تحمل العمل . . لكن ما أجده أقل استساغة، قرار ابنة الحاكم

أن تعلمني ما أفعل .

- أتسامحني؟

- على شرط واحد . . دعيني أفعل الأفضل، إلى أن يعود والدك .

وقفت تواجهه، مستقيمة شاحبة، وشيء غير ملموس يبدو عليها . .

رفعت شعرها إلى الوراء بسرعة، بيد مرتجفة: سأكون كلي طاعة .

- عظيم . . وسأطالبك بالوفاء بهذا .

بدا لها، في جزء من الثانية، أن رأسه انحنى قليلاً . . وأنه سيعانقها لكن اللحظة مرت، وأدارت له جانب وجهها الهاديء الذي لا ينم مطلقاً عما يعتمر داخل القلب الفتي .

قال بهدوء:

- ليلة سعيدة . . يا طفلي . . نامي جيداً .

ورحل .

لم تقف تامارا في غرفة الطعام، بل أغلقت دون وعي الأبواب الزجاجية، وأطفأت المصباح، ثم خرجت إلى الردهة وصعدت إلى غرفتها . أخذت أصابعها تتلمس الذراع التي التفت حولها أصابعه دون وعي منها . . بينما كان كيانها كله يحس بشوق غريب، ولذيذ، وكأنه الأكم . لقد نسيت أن جيرالد يعرفها كليليان ميلوز، نسيت كل شيء ما عدا العذاب اللذيذ في معرفتها أنها وقعت في حبه .

\*\*\*

## ٥ - هل تنتهي اللعبة؟

نزحة لتناول الشاي، في الهواء الطلق، جرى ترتيبها لبعده ظهر اليوم التالي. وكنتغير عن الروتين، اتفقت ليليان وتامارا على الذهاب في مركب واحد إلى مصب النهر المختار. كان بارني وكيماثي شاب من مركز الأبحاث، اسمه هاري، الرفيقين اللذين سيجعلان المجموعة رباعية. استخدمت تامارا منظار هاري، لتعلن بإثارة أنها تشاهد رؤوس النخيل على جزيرة نائية. واستخرج هاري سمكة مرجانية من البحيرة، مشيراً إلى شكلها الجذاب. ولا عجب أن ليليان كانت تحس بالضجر مع هكذا رفقة. ولم يكن الأمر أفضل حين استدار المركب بهم ما بين أشجار النخيل وتوقف قرب مركبين آخرين. كانت فلورا يوكسهول تصغي باهتمام إلى حديث مع السيدة إيلتون. كانت فلورا المستمعة المثالية للنساء الأكبر سناً. تمتت ليليان بشيء من الخبث:

- إنها رائعة. وتصرف كل قرش تملكه على ثيابها. إنها تنوي أن تكون سيدة الحاكم المكتملة. مليئة بالعطف والتفهم.

استدارت تامارا في كرسيها المتحرك لتنظر جيداً إلى رفيقتها:

- تنوي؟ ألسنت تأخذين الكثير كأمر مسلم به؟

- هذا ممكن. ويجب أن أعترف مع ذلك، أنني لم ألتق بعد بامرأة تمزج بين البراءة والمكر كالسيدة ذات العينين الصفراوين.

قال بارني، وهو يجلس واضعاً رجلاً فوق أخرى:

- ربما أخطأت الظن.

ردت ليليان بحدة:

- أنتشير إلى أنها نوعية لا أعرف عنها الكثير؟

- يا للسماء. لا! أنا لا أقصد التشكيك بقدرتك على الحكم. لكن،

حتى أنا، أستطيع أن أرى أن فلورا يوكسهول امرأة خبيثة غير مغرورة.

- كم تعرف عن النساء!

قالت تامارا بصبر:

- اسمع. كلاكما بحاجة إما إلى الشجار لتخرجنا كل شيء من

نفسيكما، وإما أن تتصالحا. سأذهب أنا لأنفراج على صيد السمك.

تركتهما معاً، دون أن تنظر خلفها، وسرعان ما شغفها غموض وسحر

هذا النهر الاستوائي الجميل.

حدقت ليليان لفترة في النخيل الكائن على الجانب الآخر من النهر.

سألها بارني بعفوية:

- إلى متى ستستمرين في تمثيل دور تامارا فليشر؟

كان بإمكانها الادعاء أنها تغفو، لكنها لم تفعل ورددت بحدة:

- إلى أي وقت يناسبني.

- أندركين أنك وضعتني في موقف صعب مع المفوض العام وبقية

الناس؟ لو كنت تستفيدين فلا مانع عندي. لكنك لا تبدين لي في غاية

الابتهاج.

- ربما هذا لأنني لا أشعر بالابتهاج وأنت قريب مني.

- لم يكن هذا رأيك ونحن معاً في لندن السنة الفائتة. بل الواقع أنني لا

أذكر أنك رفضت دعوة مني، وتركتني أغازل ذلك. وأكثر من مرة.

فردت دون اهتمام:

- صحيح؟ كما أنني لطمت وجهك.

- أعتقد أنني تسببت بهذا. فليليان ميلوز، لم يدعها أحد من قبل

بالطفلة المدللة. الغلظة التي ارتكبتها أنني تشاجرت معك في اليوم الذي

سبق سفري. ولا بد أنني كنت متوتراً. لكنني اعتذرت لك في رسالة

يعرف .  
 وكأنما، متابعة لأفكاره . . قال :  
 - هل زرت يوماً مستشفى مونيغ ؟  
 جلست فجأة، والتقطت الحقيبة من حجرها لتخرج علبة سكاثر ذهبية  
 جميلة . . وسألت بحدّة :  
 - ما هذا الآن . . أهي محاولة لدفعي نحو الشأن الاجتماعي؟ لماذا أذهب  
 إلى المستشفى؟  
 أخذ عود ثقاب وأشعله، ثم استراح على المقعد الفارغ يمد لها يده  
 بالشملة :  
 - لا سبب محدد . . ما عدا أنها زيارة مشيرة للاهتمام .  
 نفتت غيمة من الدخان :  
 - هل ذهبت إلى هناك مع تامارا؟ . . مما أسمع، أنت تذهب إلى كل  
 مكان معها .  
 - إنها لطيفة . . من النوع الذي يمكن للمرء أن يقول كل شيء أمامها  
 وهو يعلم أنها لن نسيء فهمه . . أعتقد أن هذا، بسبب أنها لم تسافر كثيراً،  
 وتجد كل شيء مشيراً للاهتمام .  
 - وهذا بالطبع، ما يجعلها جذابة لرجل مثلك .  
 سأل مشاكساً :  
 - حسناً . . ولم لا؟  
 سحبت أنفاس سكارها بقوة متعمدة :  
 - يبدو أن من المؤسف أن لا تكون تامارا ابنة الحاكم .  
 قفز واقفاً، ولم يعط نفسه فرصة أن يتذكر أن غضبه من ليليان هو أمر  
 دقيق خطر، فدس يديه في جيبي بنطلونه، وانحنى فوقها، متصلباً، ثم قال  
 بقوة، قريباً من وجهها :  
 - هل دعوتك مرة بالمدللة المتوحشة؟ أسحبها! أنت أسوأ من هذا  
 بكثير: أنت غير ودية، أنانية، وليس لديك حبٌ لخير الإنسانية. كنت فيما  
 مضى محبوبة، لكنك لم تعودتي هكذا . . لقد تركتك تامارا تفعلين ما شئت

أرسلتها من السفينة . . ولن يضيرك أن تعترف بهذا .  
 فتحت ليليان عينيها السوداوين، ونظرت إليه بسرعة من فوق مقعد  
 تامارا الفارغ . . لكنه كان ينظر باكتئاب إلى النهر .  
 - لم تصلني رسالتك .  
 استدار برأسه إليها، وحاجباه الكثيفان مرتفعان :  
 - لم تصلك؟ أو أوافقك أنت؟  
 - تماماً . . فقد رحلت في رحلة بحرية بعد بضعة أيام من رحيلك،  
 وغبت ثلاثة أشهر أو أكثر . .  
 - وهكذا مضيت قدماً في كراهيتي؟  
 - لا أستطيع القول إنني كرهتك . . أخشى أنني لم أكن مهتمة بهذا  
 القدر . . ولم أفكر بك مطلقاً .  
 - حسن جداً . . أنت تكرهيني الآن .  
 ردت بفتور :  
 - أنت تطري غرور نفسك . . أنا فقط أكره التراخي، ويبدو أن هناك  
 الكثير من الكسل وأنت موجود .  
 ثناءت ورفعت نظرها إلى أغصان الشجر قائلة :  
 - أتمنى لو أنني لم أوافق على المجيء إلى هذه النزهة السخيفة !  
 نظر إليها متسائلاً قبل أن يسأل :  
 - لماذا جئت؟ لا بد وأنت كنت تعرفين أن مواهبك الخاصة لن تحصل  
 على فرصتها في هذا المكان، مع وجود أشخاص مضجرين مثلي .  
 هزت كتفها تصرف النظر عن الموضوع، وقالت ببرود :  
 - المرء دائماً يأمل بما هو أفضل .  
 وأغمضت عينيها مرة أخرى .  
 نظر إليها نظرة حافلة بالذكريات . . جمالها الأسمر يناسب المناطق  
 الاستوائية تماماً . . مرحها يماثل مرح الشباب في الجزيرة، وهي مثلهم،  
 تعطي الانطباع الدائم، بأنها تحبها على سطح الحياة . . لم يتمكن حقاً، في  
 يومٍ من الأيام من اكتشاف ما إذا كان لها عمق . . لكنه يتمنى كثيراً لو أنه

بها، وبدلاً من تقديرك لهذا الموقف أخذت تتبجحين بطريقة سمجة . .  
حسناً . . أظنها ألطف فتاة عرفتها في حياتي . ولذلك تربنتي ميالاً إلى الثقة بها  
بدلاً من الثقة فيك من الآن فصاعداً .

تركها مبتعداً دون أن يتبادر إلى ذهنه أن شخصاً عتيداً مثل ليليان من  
الصعب أن يترك الحادثة تمر دون انتقام .

كانت الساعة حوالي الثالثة والنصف حين عادت تامارا يوم الأربعاء إلى  
المقر، وكان المبنى كله صامتاً . وقفت في الردهة، فوق وعاء الزهور  
النحاسي وفكرت كم أنها منعشة، بألوانها الوردية الشاحبة .

غالباً، ما كانت هي وليليان تفتحان الرسائل الموجهة لابنة الحاكم . .  
لكن هذه الرسالة، كانت مكتوبة بخط يد أصبح مع الأيام مألوفاً لها . .  
فوضعت إصبعها تحت الختم بسرعة وفتحت الرسالة لتخرج ورقة مذكرة،  
تابعة للمقر . . لتجد ما كتبه جيرالد :

«جئت لزيارتك للتأكد من أنك ترتاحين قبل حفلة الليلة، فوجدتك  
بعيدةً أرجوك أن تخلدي إلى فراشك ساعة تصلين وتبقين نائمة لساعتين على  
الأقل حيث أنه متوقع منك أن ترقصي حتى الساعة الثانية . . إلى اللقاء» .  
ليس هناك ما هو حميم في الرسالة، ما عدا واقع تركه رسالة لها . .  
فطوتها بعنف في يدها، وصعدت إلى غرفتها لتطبعه لكن النوم كان  
مستحيلاً . .

جاءها خادم بالشاي وقال رداً على سؤالها :

- إنها الساعة الخامسة . . لا سيدتي . . لم يحضر أي زائر .

قررت تامارا ارتداء ثوب أبيض كان لأمها والذي كان بطريقة ما يجذب  
الاهتمام إلى نعومة بشرتها الشابة وخط عنقها الجميل، كان فستاناً ذا تفصيل  
تقليدي من الحرير الصلب وله طوق من الزبرجد الأخضر .

وبعد السابعة مباشرة، وضعت مشلحاً من «الشوفين» فوق كتفيها،  
وربتت شعرها الناعم، وخرجت إلى الممر . . عند باب غرفة ليليان،  
ترددت، ثم قرعت الباب، فردت ليليان : ادخل . .

وكانها تتوقع خادماً . . استوعبت نظرتها الثابتة الصورة الشقراء لتامارا

فوراً . . وأعدت الالتفات إلى المرأة، لتضع قرطها، وقالت : لن أناخر  
دقيقة .

- آه . . ما هذا !

وكانت تامارا محقةً عندما صاحت دهشة . . بدت ليليان عظيمة في  
فستان واسع التنورة بلون أسود وذهبي، إضافة إلى الألماس الذي غالباً ما  
سخرت من أنها غير قادرة على عرضه والتباهي به . . وها هي الآن، كما هو  
واضح، لم تعد قادرة على مقاومة إغرائه . . والنتيجة كانت تحبس الأنفاس .

هزت ليليان كتفيها دون اكتراث، وقالت :

- من المفترض أن تكون هذه مناسبة كبيرة، أليس كذلك؟ دعينا نذهب  
الآن .

في السيارة سألتها تامارا ما إذا كانت قد ارتاحت . . وعرفت أن ليليان  
أمضت صباحها على الشاطئ . . وتناولت الغداء عند آل كايل، ثم تناولت  
المرطبات ولعبت دوراً من البريدج، مع أن ليليان لا تحب البريدج كثيراً .

في هذه اللحظات، دخلت بهما السيارة إلى الطريق الداخلية القصيرة  
لمنزل جيرالد، المربع الكبير . . الشديد الإضاءة، كانت كل أبوابه ونوافذه  
مفتوحة على مصاريعها .

وها هو . . عند المدخل المحفوف بالأعمدة . . طويل وسيم بشكل  
يحطم القلوب، في بذلة بيضاء خاصة بالسهر . رأسه ينحني لهما تحية بينما  
كان خادمه يساعدهما بكل أدب على النزول من السيارة . . وتمتم :

- سيدتان جميلتان !

نظرت إليه ليليان نظرة مكر محسوبة، تسأل بخبث :

- ومن منهما الأميرة، ومن هي الخادمة؟ اختر بيننا . . جيرالد .

رداً عليها، أمسك بالمرفقين معاً . لكن ابتسامته كانت موجهة للحظات  
إلى تامارا وهو يقول :

- كلاهما أبعد بكثير من المقارنة . . الغبي وحده يجزؤ على القول بأن  
إحداكما تتقدم على الأخرى .

- وأنت لست غيبياً، يا عزيزي جيرالد !

فرد يوقار: شكرًا لك:

كانت تامارا قانعة . . فهي تعرف طريقته تماماً . . إنها جزء من سحره .  
لن يتعمد مطلقاً جرح شعور امرأة . . إذ عليها أن تجرحه أولاً لكي  
يجرحها . . وليليان لم تجرحه يوماً . .

كان قد وصل حوالي نصف المدعوين وكان الآخرون ينزلون من نصف  
دزينة من السيارات في الطريق الداخلية للمنزل .

قدّم العشاء في الثامنة على طاولتين . . واحدة كبيرة في غرفة الطعام،  
كانت مخصصة للرسميين مع زوجاتهم، والأخرى على الشرفة المضاءة،  
جلس عليها العزّاب . .

كانت ليليان تجلس قبالة تامارا، راضية بين الكولونيل كايبيل  
وجيولوجي شاب . . وكان هناك شيء مقصود بالطريقة التي كانت تشعّ فيها  
وتتجاهل وجود بارني . . الذي كان على المائدة في الشرفة، لكنه كان يراها  
بسهولة كافية، لو أراد .

كان الجزء المبكر من الأمسية هو الأكثر مرحاً فلقد رقصت تامارا ولعبت  
الألعاب، وسارت مع أحد الشبان في الحديقة، كانت الساعة قد تجاوزت  
العاشرة حين سنحت لها فرصة الكلام مع جيرالد . . وكان عليها أن تختار بين  
الرقص معه، الأمر الذي كانت تترغبه كثيراً، وبين أن تتمشى معه إلى مكتبته،  
الأمر الذي اضطرت لأن تعترف بينها وبين نفسها أنها تترغب فيه أكثر .

أقفل الباب عليهما، وأعطاهما سيكارة . . ثم أشار برأسه إلى الغرفة: ما  
رأيك بها؟

كانت ألواح خشب التيك، التي تضيء على الجدران لمعاناً ولوناً مترفين  
في الفخامة . . وهناك الكثير الكثير من الكتب، قد لا يتعب المرء من قراءتها  
وإعادة قراءتها . . مقعدين عميقين، بذراعين، كانا على جانبي باب  
زجاجي . وعلى طاولة منخفضة، سوداء محفورة، يستريح وعاء من  
الأوركيديا الرائعة، ارتفعت أصابعها ألياً لتلمسها . .

- إنها غرفة حميمة دافئة . . عكس بقية المنزل تماماً .

وجلست في أحد المقعدين .

- أوه . . ألم يعجبك المنزل؟

ابتسمت:

- إنه مثلك تماماً، ليس له صفة محددة . . هل أثنى بنفسك؟

- هذه الغرفة فقط وغرفتي نوم أخريتين . اللوحات في غرفة الاستقبال  
لي . . إضافة إلى قطعتين أو ثلاث أخريات، لكن المنازل العائدة إلى ملكية  
الدولة تؤثثها الدولة .

- ألا تشعر أبداً أنك تترغب في أن يكون لك مكان خاص بك . . مكان لك

حقاً . . أعني؟

ارتفع كتفاه:

- لن يفيدني شيء . فحين أترك بولاني، فسأذهب إلى مركز آخر في  
مكان آخر . . ويجب عندئذ أن نترك كل شيء ونذهب ومن المرير جداً أن  
يحفر المرء لنفسه جذوراً في كل مرة .

- أنت محق، طبعاً . . لكنك لا تمنع في أن يكون لك جذور . . أليس  
كذلك؟

- أنا لم أفكر أبداً بهذا . . ولن يفيدني التفكير . . وأعتقد أن هذا هو سبب  
عدم تفكيري بالزواج من قبل .

كان يتحدث بهدوء، ينفث الدخان نحو النافذة المفتوحة، حتى أنها لم  
تلاحظ صفة الجملة الأخيرة فوراً . وإلى أن استوعبتها، كان قد مال إلى الأمام  
في مقعده يشير إلى القمر المكتمل الذي كان يصعد من بين الأشجار . .  
وقال:

- منظر لا يصدق . . أليس كذلك؟ لقد شاهدته مئات المرات، لكنني

على الدوام أصاب بالذهول لأن القمر في بحر الجنوب ذهبي شاحب ويعطي  
نوراً أصفر فوق كل شيء . . في القريب العاجل، ستصبح الليالي أكثر حرارة  
والأيام أكثر رطوبة، وستسمع الرعد يهدر بين حين وآخر من مسافات  
بعيدة . . فتحن على أوائل موسم الرطوبة .

- وهل سننعم بالمطر؟ أنا مشتاقة إليه .

- سننعم بمطر لم تشاهدي مثله من قبل . . مع أنني آمل أن لا يكون هناك

رياح غربية في وقت مبكر .

سألته بسرعة :

- هل هذا بسبب السير همفري؟ هل أنت قلق عليه؟

نفض رماد سيكارتته قائلاً :

- إنه يعرف المواسم كما أعرفها . . ولليخت الحكومي طاقم بحارة

ممتاز . . وتأكدي أنه سيرك «فيلون» حالما يستطيع . . وبكل تأكيد قبل تغيير الطقس .

سألته بفضول :

- وهل ستكون مسروراً بعودته؟

- أجل . . ولأجلك .

ثم نظر إلى ساعته، وأكمل :

- أخشى أنني طيف، يجب أن لا يخنفي لأطول من مدى رقصة واحدة .

- هل أنت ذاهب الآن؟

فتح الباب، ولا مس كتنفيها بخفة وهي تصل إلى جانبه :

- لست أرى سبباً يمنع من أن نرقص معاً . سأطلب منك رقصة فيما

بعد .

فرفعت نظرها إليه، وعيناها الرماديتان براقتان، وفمها مبتسم :

- أرجوك أن تفعل . . قيل لي إنك بارع .

- أفضل أن أحصل على رأيك . .

وتوهجت احمراراً . . فهي تعلم أن طريقة رقصه لن تؤثر أبداً على حلاوة

وجودها بين ذراعيه .

ثم خرجا ليقفا تحت أنوار غرفة الاستقبال المشعة، إنه لا يعرف

التعب . . فحتى منتصف الليل كان قد راقص كل النساء الموجودات في

الحفلة، وآثر كلاً من ليليان وفلورا برقصتين .

كان قد أخرج إلى الشرفة عربات محملة بطعام خفيف، وخرج الجميع

إلى الخارج للاستناد إلى الجدار أو الجلوس في أحد المقاعد .

كانت الأنوار منتشرة على الأشجار القريبة، لكن ليليان جلست تحت

أحد المصابيح مباشرة، غير بعيدة عن جيرالد . أما بارني فقد جلس بالقرب

من تامارا يشاركها طبق البسكويت وذلك لأنه لم يجد مكاناً آخر حين خرج .

حتى حين يكون هناك الكثير من الناس، يشتركون في أنواع عديدة من

الأحاديث، تمر لحظات هدوء . . وها هي واحدة من هذه اللحظات نخيم

الآن، خرقتها ليليان بضحكة متدفقة، وقالت :

- إنها ساعة السحر . . كان يجب أن تزودنا بمفاجأة، جيرالد .

استدار بالكامل كي يراها قائلاً :

- ما بالك . . أشعرين بفتور الهمة؟

- أبدأ . . أستطيع الاستمرار حتى الصباح، وإنهاء السهرة عند الساعة

بالسباحة في البحيرة . . فهذه أفضل حفلة منذ وصولنا إلى هنا .

فرد جيرالد: ألا تتعبين أبداً؟

- بالطبع أتعب، فغالباً ما أنام حتى ساعة الغداء . . حتى أنني أتناوله في

الفراش أحياناً .

هتفت السيدة ماكتافش قائلة :

- أنفعلين هذا حقاً؟ كيف تتحملين الأكل في الفراش والشمس مشرقة؟

قالت السيدة إيلتون :

- أنا لا أستطيع هذا بكل تأكيد!

فردت ليليان مبتهجة وقد بدت مستمتعة بالصدمة التي سببتها .

- أنا لا أستيقظ قبل الظهر . . ولحسن الحظ أعود لأنام خلال النهار حين

أكون ضجرة . . اليس كذلك يا بارني . . ؟

فردت بحدة قائلاً :

- وكيف لي أن أعرف . . لم تنامي مرة وأنت معي . . كنت تتظاهرين

بالتوم .

فانفجرت ليليان ضاحكة، لكن تامارا عرفت من بريق عينيها أن بارني قد

سجل على نفسه نقطة سوداء . . فابتسمت لليليان، وكادت تهز رأسها دليل

عدم الموافقة . . لكن ليليان استدارت مرة أخرى مخاطبة جيرالد .

- حسن جداً . . إذا كنت لن تقدم لنا مفاجأة، فسأفعل أنا . . أظنني

تامارا فليشتر . . أليس كذلك يا جيرا الد؟

انخلع قلب تامارا من مكانه، وكأنها أصيبت بتيار كهربائي، ثم أحست باحترق عنقها ووجهها بشكل لا يطاق . . . ورد جيرا الد:

- أظنك متوترة الأعصاب قليلاً.

ضحكت مجدداً:

- لا . . أنا لست متوترة . . كنت أعرف أنك لن تصدقني لأن تامارا تبدو ابنة المحاكم المتكاملة . . لكنها بكل تأكيد تامارا . . وسيؤكد لك بارني أنني ليليان ميلوز.

لم تعد تامارا تسمع شيئاً بوضوح بعد هذا . . وبدت وكأنها وسط دوامة من الصخب . . ثم ربت الدكتور ماكتافش يدها هادراً بأنها خدعته . وصاحت السيدة إيلتون:

- يا إلهي! يا لروعة أن يكون في وسطنا شابتان لهما هذه الروح المرححة! بينما ضحك أحد الشبان باعتراف صريح أنه لن يجروني على القول لتامارا الأشياء التي قالها لليليان . . حتى بعد أن عرف الحقيقة.

أخيراً، تعالى صوت جيرا الد الهادىء الخالي من التأثير ليسمعه الجميع . . ولماذا هذه الخدعة؟ ماذا كنت تأملين أن تجني من ورائها؟ هذه هي النهاية، لو صرحت ليليان بالحقيقة . . لكن، التأثير الذي تسببت به كان قد أرضاها . فضحكت، وقالت ببراعة:

- أبي ليس هنا، وبدت لي فرصة من السماء للحصول على بعض المرح . أظن أنه لا مانع لدى أحد . . أليس كذلك؟ لم نؤذ أحداً، هل فعلنا؟ حصلت على رد الفعل الذي أردته: صخب موافق لأي شيء قد يكسر الرتابة في تلك المناطق الاستوائية.

بقي بارني قريباً من تامارا . وحينما بدأت الموسيقى من جديد أخذ ذراعها وسار بها إلى الحديقة، ووجهه متجههم وهو يسير إلى جانبها، ويدها في جيبيه.

- سينال مني في الغد . . سيمرغني بإذلال لأقدم له تفسيراً . . تامارا، وعدتني أن تكلميه بالأمر . . أيمكن أن تكلميه قبل أن يكلمني؟

ردت، وسط الألم والقلق:

- يجب أولاً . . أن أتلمس طريقي معه . . وأرجو أن لا يكون قد أخذ الأمر بجديفة.

- سمعت صوته . . كان كالفلواذ المصقول، وأنا متأكد تماماً أنه كان موجهاً ضدي . . لن يستطيع قول الكثير لك وليليان، لكنه بكل تأكيد سيصعب غضبه علي . . لماذا كان عليها أن تخرج الحقيقة أمام الجميع . . ودون تحذيرنا؟ إنه ذوقها الدرامي، كما اعتقد!

- لقد جرى ما جرى . . فلا تنزعج منها . لديها قدرة لإصلاح كل شيء لك، أكثر مني.

- أفضل الاستقالة على أن أطلب هذا منها . . عديني بأن تكلميه يا تامارا.

- ليس الليلة . . سأحاول في الغد.

صمت دقيقة، ثم قال باكتئاب:

- إذا نجحت صداقتك مع ليليان من هذه الأزمة، ستكون معجزة!

لكن تامارا لم تكن تفكر بليليان، كانت تفكر فيما لو طلب جيرا الد الرقص معها، أن تخفف من قيمة الدور الذي لعبته . . ستجعله يدرك على الفور أنها أبقت دورها في التمثيلية محدوداً قدر المستطاع . الفكرة، لا بد أنها أثارته . لكنه لن يلومها على نزوات ليليان، ربما سيلومها فقط لأنها تركت نفسها تنجرف إلى هذه المؤامرة.

كانت آخر ساعتين في الحفلة، كالكابوس بالنسبة لها . فمن الطبيعي أن توفر قبلة ليليان الموضوع الرئيسي للتمتع . وهي بكل تأكيد أثارته الجميع حتى أن الرقص واللعب قد أخذوا مجرىً جديداً.

لكن السهرة يجب أن تنتهي، ووقف جيرا الد في المدخل العريض لبيته يودع ضيوفه كلاً بمفرده وكانت تامارا واحدة ضمن صف طويل مرّ به . وتلقت هزة رأس و «ليلة سعيدة» مثلها مثل السيدة إيلتون التي سبقتها.

كانت تامارا وليليان لوحدهما في سيارة المقر، حافظت كل منهما على زاويتها تراقب الأشجار التي تمر بهما . لربما كانت ليليان تفكر أن المفاجأة لم تكن مرحلة كثيراً لتجرح إحساس صديقتها المقربة الوحيدة . وبدت

كدمية كئيبة .

كانت تامارا تتصور أمامها وجهين . . كلاهما لجيرالد . . أحدهما ينظر إليها ومن خلفه خشب التك الفخم، والآخر بارد كالصخر، والعينان الزرقاوان بعيدتان بعد النجوم، وهو يتمنى لها ليلة سعيدة .

\*\*\*

## ٨ - الحياة صحراء بدونه!

أول ما أحست به تامارا حين استيقظت في الصباح التالي كان الإحساس بالراحة . . لقد عادت إلى نفسها مرة أخرى . . ففي المقر نفسه لن يكون هناك فرق كبير، فالخدم يخاطبون الفتاتين معاً «بسيديتي» ومن غير الممكن أن يهتموا كثيراً بمن منهما هي السيدة. بين الأصدقاء، لا بد أن تُنادى بين حين وآخر ليليان، لكن النكتة سرعان ما تفقد بريقها .

تناولت الشاي مع الليمون. ثم استحمت، وارتدت ثوباً رقيقاً مورداً وصممت على أن تبقى تفكيرها بعيداً عن جيرالد . . لكن، يجب أن تواجهه في وقت ما قبل الغداء . . وكان لديها إحساس داخلي أن المقابلة لن تكون لطيفة . . ويجب أن ترى ليليان أولاً .

كانت على وشك أن تفتح باب الغرفة حين استدار المقبض وانفتح الباب . . ووقفت ليليان في المدخل، مشعثة، ملفوفة بثوب حريري أخضر، كان مشدوداً بحزام أحمر كرزي، على أعلى خديها احمرار شديد، وكأنها كانت تدفن وجهها في الوسائد، ونبكي قليلاً .

قالت:

- كنت قاسية معك . . وما فعلته لم يجعلني سعيدة أبداً .

تراجعت تامارا لتمكن ليليان من الدخول:

- لا تتأثري بالأمر قليلاً هكذا . . كان يجب أن أعرف أنك تنوين إفشاء

السر، وأنا سعيدة أنك فعلت . . كنت تنوين هذا قبل مغادرتنا لهذا المكان

ليلة أمس . . أليس كذلك؟

هزت ليليان رأسها بيؤس وقالت :  
- أتمنى لو أنني قلت لك . . وما معني من القول هو أنك كنت ستقولين  
ليبارني . . وكنت غير راغبة في أن يعرف ذلك .  
فردت بتعقل بينما تهاوت ليليان على كرسي :  
- كان له الحق أن يعرف .  
- الأمر كله كان وحشياً . . لكنك لن تكرهيتني لأجل هذا . . هل  
ستفعلين؟

لا تكوني سخيفة . . قلت لك إنني مسرورة .  
- أعرف ذلك لكنك بدوت لي غير مبالية . هل أنت متكدرة لأن بارني  
وقع في ورطة؟  
- أنا لست متكدرة . . لكنني أشعر بالأسف لأنه لا يستحق هذا النوع من  
المعاملة . . وليس من العدل أن تنتقمي منه على أي حال .  
فنظرت إليها ليليان بطرف عينها قائلة : هل تحببته؟  
- بالطبع لا!  
- لكنه مولى بك .  
فردت بنفاد صبر قائلة :

لا . . إنه ليس هكذا . . لقد جاء إلى بولاني لأنه كان يتوق للعمل مع  
والدك ، وعلى أمل الاتصال بك مجدداً . وإذا بدا أنه ملتصق بي ، فلأنك  
رفضت أن يكون بقربك . . قد لا تفكرين بهذا . . لكن بارني حساس .  
- حساس؟ إن حساسيته هي بمقدار حساسية هذه الكرسي . . ليس هناك  
رجل يتمتع بأدنى قدر من الحساسية يتحدث إلى امرأة كما يتحدث معي .  
- أنت لا تفهمينه . . بل وحتى لا تحاولين هذا ، مع أنه لا يعاني من أي  
عقدة . . صحيح أنه لا يلاطفك كما يفعل الكابتن سمولود والآخرين لأن هذا  
ليس من طبيعته . . وإذا كنت لا تشعرين بالانجذاب إليه ، فلا ضير من ذلك  
لكن على الأقل تجنبي القساوة معه .  
تههدت ليليان قائلة :

من الصعب جداً العيش في مستواك يا حبيبتي . . لكنني لا أظنني قادرة  
على أن تكوني سخيفة . . قلت لك إنني مسرورة .  
- أعرف ذلك لكنك بدوت لي غير مبالية . هل أنت متكدرة لأن بارني  
وقع في ورطة؟  
- أنا لست متكدرة . . لكنني أشعر بالأسف لأنه لا يستحق هذا النوع من  
المعاملة . . وليس من العدل أن تنتقمي منه على أي حال .  
فنظرت إليها ليليان بطرف عينها قائلة : هل تحببته؟  
- بالطبع لا!  
- لكنه مولى بك .  
فردت بنفاد صبر قائلة :

لا . . إنه ليس هكذا . . لقد جاء إلى بولاني لأنه كان يتوق للعمل مع  
والدك ، وعلى أمل الاتصال بك مجدداً . وإذا بدا أنه ملتصق بي ، فلأنك  
رفضت أن يكون بقربك . . قد لا تفكرين بهذا . . لكن بارني حساس .  
- حساس؟ إن حساسيته هي بمقدار حساسية هذه الكرسي . . ليس هناك  
رجل يتمتع بأدنى قدر من الحساسية يتحدث إلى امرأة كما يتحدث معي .  
- أنت لا تفهمينه . . بل وحتى لا تحاولين هذا ، مع أنه لا يعاني من أي  
عقدة . . صحيح أنه لا يلاطفك كما يفعل الكابتن سمولود والآخرين لأن هذا  
ليس من طبيعته . . وإذا كنت لا تشعرين بالانجذاب إليه ، فلا ضير من ذلك  
لكن على الأقل تجنبي القساوة معه .  
تههدت ليليان قائلة :

من الصعب جداً العيش في مستواك يا حبيبتي . . لكنني لا أظنني قادرة  
على أن تكوني سخيفة . . قلت لك إنني مسرورة .  
- أعرف ذلك لكنك بدوت لي غير مبالية . هل أنت متكدرة لأن بارني  
وقع في ورطة؟  
- أنا لست متكدرة . . لكنني أشعر بالأسف لأنه لا يستحق هذا النوع من  
المعاملة . . وليس من العدل أن تنتقمي منه على أي حال .  
فنظرت إليها ليليان بطرف عينها قائلة : هل تحببته؟  
- بالطبع لا!  
- لكنه مولى بك .  
فردت بنفاد صبر قائلة :

لا . . إنه ليس هكذا . . لقد جاء إلى بولاني لأنه كان يتوق للعمل مع  
والدك ، وعلى أمل الاتصال بك مجدداً . وإذا بدا أنه ملتصق بي ، فلأنك  
رفضت أن يكون بقربك . . قد لا تفكرين بهذا . . لكن بارني حساس .  
- حساس؟ إن حساسيته هي بمقدار حساسية هذه الكرسي . . ليس هناك  
رجل يتمتع بأدنى قدر من الحساسية يتحدث إلى امرأة كما يتحدث معي .  
- أنت لا تفهمينه . . بل وحتى لا تحاولين هذا ، مع أنه لا يعاني من أي  
عقدة . . صحيح أنه لا يلاطفك كما يفعل الكابتن سمولود والآخرين لأن هذا  
ليس من طبيعته . . وإذا كنت لا تشعرين بالانجذاب إليه ، فلا ضير من ذلك  
لكن على الأقل تجنبي القساوة معه .  
تههدت ليليان قائلة :

وأجر مقعدها المتحرك في الحديقة ثم العب الورق معها.

فرغت تامارا حاجبها دهشة وقالت: مرة أخرى؟

- إنها لطيفة. ولديها من الشجاعة ما يجعلني أحس أنني نافهة لا لزوم

لي. إنه نوع من العقاب، قد ينفعني من وقت إلى آخر.

ثم وصلنا الباب معاً، فدست تامارا يدها في ذراع ليليان، لتقول بابتسامة  
مرحة:

- أتعلمين؟ لدي فكرة بأن بارني أحرق. هناك بوابة مفتوحة أمامه،

لكنه بصر على ضرب رأسه في الحائط المسدود.

فردت بقليل من الخشونة:

- لا أتصور ما تتحدثين عنه. لكنني أوافق على أنه أحرق. وهو أيضاً

بغل عنيد!

طبعت على خد تامارا قبلةً وأكملت:

- لا يمكنك الزواج من مزيج كهذا يا حلوتي. أبعده عنك!

ضحكت تامارا، ونزلت. كان الفطور معداً على التراس، لكنها لم

تحس برغبة في الطعام. فلقد كانت تحس بنوع من الإثارة العصبية حيث

كانت تتوق لرؤية جبرالد، لأن تسمعه يقول إن لا شيء قد تغير.

شربت بعض القهوة، ورأت أن الساعة لم تبلغ التاسعة بعد. فشربت

المزيد. لأن العمل يبدأ في الدوائر الحكومية في التاسعة والنصف.

بعد عشر دقائق، كانت سيارة المقر تتجه في الطريق إلى «مونينغ».

كان المبنى الحكومي، صرحاً أبيض رائعاً، يحف به مرج مخملي

أخضر مع نصف دزينة من أشجار النخيل الخاص بالزينة. وتوقف

السائق. فكبحت تامارا إحساس خوف مفاجيء. فهي لم تدخل بعد

وعملها هنا اليوم ليس رسمياً بكل معنى الكلمة. وقد يعترض جبرالد. مع

أنها لا تظن هذا. لقد طلب منها أن تزوره في أي وقت، وفي أي مكان يكون

فيه. فهمس لها صوت قائلاً: «لكن هذا كان وهو بظنك ليليان».

لكنها رفضت الإصغاء إليه، فصعدت الدرجات ثم إلى المدخل

المسقوف اللذيذ البرودة. وخطا عامل المصعد ببذلة الرسمية ليفتح لها

الباب، فقالت:

- مكتب المفوض العام. أرجوك.

أحست بهدوء وأبواب المصعد تقفل ويرتفع بها إلى الطابق الأول.

تقدمها حاجب عبر الممر الطويل، وفتح لها الباب إلى غرفة انتظار

صارمة الشكل. على أحد جدرانها صورة للسير همفري ميلوز بالحجم

الكامل.

انفتح باب داخلي، فتصلبت تامارا مجفلة. لكنه لم يكن إلا المفوض

المساعد الذي دخل بوقار، مغلقاً الباب وراءه وقال:

- صباح الخير يا آنسة.

تردد ثم ابتسم:

- آنسة فليتشير، هل ترغيبين في رؤية السيد سومرفيلد؟

- إذا لم يكن مشغولاً. أرجوك.

- هل الأمر شخصي، أم أستطيع مساعدتك؟

كذبت:

- لا شيء شخصي حقاً، لكنه ليس عملياً كذلك. أعرف أن من غير

القانوني أن أتني إلى المكتب.

سارع يؤكد لها:

- أبداً. بالتأكيد، كان سيقابلك في الحال، لكن، الواقع أنه ليس

هنا.

- أتعني أنه تأخر هذا الصباح؟

- ليس متعباً من أثر حفلة الأمس، إذا كان هذا قصدك. إنه من الأشخاص

النادرين اللذين لا يتعبون. لا.

صمتت قليلاً ليتسم لها بارتباك، ثم أردف قائلاً:

- في الواقع، السيد سومرفيلد غادر «بولاني» ولا أحد يعرف لماذا.

لم تستطع تامارا استيعاب هذا. جبرالد ترك الجزيرة، تخلى عن عمله

دون كلمة إيضاح. جبرالد! أمر مذهل لا يصدق!

- متى رحل؟

- حوالي الفجر . . . خدمه لم يعرفوا شيئاً . سوى أنه أمر بإعداد حقيبة له ،  
وتحضير «اللائش» . . . حتى سكرتيره لا يعرف شيئاً أبداً ، فقد ترك المنزل  
حين انتهت الحفلة . . . ولا بد أن السيد سومرفيلد قد جاء إلى المكتب هنا  
لأنني وجدت رسالة منه فوق صندوق الرسائل .

- وماذا تقول الرسالة؟

- قال إن عليه السفر لفترة فقط ، وأعطى التعليمات لكيفية التعامل مع أية  
أمور هامة قد تظهر خلال الأسبوع القادم أو العشرة أيام القادمة . مما اضطرني  
إلى إلغاء اجتماع المجلس التشريعي إلى أن يعود السير همفري .

سألت بانسة :

- أليس لديك فكرة أبداً إلى أين ذهب؟ ألم يذكر أي شيء لك في الحفلة

بالأمس؟

ارتفعت كتفا الرجل بعجز وقال :

- لا شيء أبداً . لاحظت أنه كان متوتر الأعصاب قليلاً وهو يودعنا ، لكن  
الوقت كان متأخراً . . . الواقع أنني كنت أحاول الاتصال بك قبل وصولك .  
فقد كنتما . . . على صداقة ، وتساءلت هل يمكن أن تعرفي شيئاً لا نعرفه .

أجابت بسرعة :

- أبداً . . . وأنا لا أصدق أنه . . . رحل هكذا . . . هل سبق وفعل هذا من

قبل؟

هز المفوض المساعد رأسه علامة النفي وقال :

- أنا في حيرة من أمري مثلك تماماً . . . لكنني واثق أنه سيرسل لنا رسالة  
في وقت ما اليوم . . . وحين يفعل ، سأخبرك .

لم يعد هناك ما تفعله تامارا سوى أن تشكره ، ثم تخرج مع نصف  
ابتسامة .

سارت بوقارها المعتاد إلى السيارة لكنها أحست بالأرض التي كانت  
تسير عليها وكأنها مركزة على مفصلات متحركة . . . لقد رحل جيرالد عن  
بولاني . . . بقي دماغها يردد الجملة ، مع ذلك لم يستطع استيعاب أهميتها . .  
كانت حقيقة أبعد من التصديق . . . «بولاني» من دون جيرالد ، كشيبة كصحراء

في ليلة عاصفة . . .

عادت المخاوف التي أبقنتها مستيقظة حتى انبلاج الفجر تتزاحم . . . ربما  
كان مضطراً إلى زيارة إحدى الجزر ، واختار هذا اليوم لأن . . . لأنه لم يكن  
ينوي متابعة صداقته مع الفتاة التي ظننها ابنة الحاكم!

هذا هو الرد! إنه غاضب ، أكثر مما بدا عليه ساعة رمت ليليان بقنبلتها  
الصغيرة . . . ولا بد أنه رأى تماماً الغرض من هذه الخدعة . . . هنا نفسه على  
خلاصه دونما شك وبسخرية باردة . . . فالأمر مُدَلَّ أكثر من أن يوصف  
بالكلمات .

لم تصل أية رسالة من جيرالد ذلك اليوم ، ولا في اليوم التالي أو الثلاثة  
التي تلت . بدا ظاهراً أن غياب جيرالد مقبول كأمر طبيعي لا يمكن تجنبه وأن  
من المسلم به أنه اضطر إلى زيارة إحدى الجزر في أمر إداري ، ومن المؤكد  
أنه رحل في «اللائش» مع خادمه الخاص ، يعني أنه لا يمكن أن يكون قد سافر  
بعيداً . صحيح أنه من الغريب أن لا يرسل كلمة ، لكن الاتصالات الداخلية  
بين الجزر لم تكن مكتملة . . . ولا شيء يدعو للقلق .

لكن تامارا كانت مشتتة الفكر . . . لا يمكن أن يكون مجرد مصادفة  
اضطراره للسفر بعد بضع ساعات من معرفته حقيقة هويتها . . . ولا بد أنه رحل  
لعدة أسباب لها سبب جذري واحد : لقد أظهر الميل إلى الفتاة المخاطنة . .  
ويجب أن تدرك تامارا أن هذه هي النهاية .

لكن ، ما الذي كان يدفع تامارا إلى الذهاب لرؤية فلورا بوكسهول ، إنها  
لا تدري . . . لقد تحملت خمسة أيام من الانتظار ، خمسة أيام من الشائعات ،  
خمسة أيام من ليليان . . . وبدأت تشعر أنها إذا لم تشاهد شخصاً مختلفاً ،  
فستجن . . . وكان اسم فلورا هو أول ما خطر لها ، ولم تتوقف كثيراً للتساؤل  
عن الحكمة في الزيارة .

دقت تامارا على إطار حاجز البرغش الشريطي . وكما في زيارتها الأولى  
شاهدت تظيف فلورا قبل أن يفتح الباب . . . وحضرت نفسها للمقابلة .

ابتسمت فلورا بإشراق . . . عينها اليوم كانتا صاحبتان براقتان ، وبرعم  
الصحة الوردي يبرز على خديها .

- تامارا! ما أروع أن تزوريني.. أنا وسط فوضى كبيرة.. لكن ادخلي.. أرجوك.

تطلعت تامارا حول غرفة الجلوس الصغيرة، والتي بدت عارية أكثر مما مضى، وسألت:

- أتقومين بالتنظيف استعداداً للربيع؟

- ليس أنا! فالمكان كان هكذا حين وصلت.. كيف تشعرين وقد عدت إلى نفسك بعد التخفي في هوية ليليان؟ لا بد أنك قوية الإرادة.

- ولماذا تقولين هذا؟

- يجب أن تكوني امرأة صلبة حتى تقنعي ليليان بتغيير الشخصيات.. أنا لا ألومك أبداً.. فنحن الذين لا مال لنا، عادة نحصل على كل ما هو ضئيل.. ولا حقاً لأحد أن يلومنا لو حاولنا الحصول على شيء أفضل.

لم تعارضها تامارا.. من الكريه أن تظن بأنها هي من أطلقت الخدعة الغبية التي كانت فكرة ليليان، لكنها لا تستطيع بحث هذا الأمر مع فلورا.. فقد بدأت أصلاً، تندم على اندفاعها الذي جاء بها إلى المزرعة.

سألت تامارا بعفوية:

- هل فكر شقيقك بأمر بناء بيت جديد؟

- ريك لا يفكر بشيء فيه عمل، إلا إذا اضطر لهذا.. قال لنا مسؤول الصحة إن هذا الكوخ، لن يصمد أمام أول إعصار.. حتى الآن نجنا من أسوأ العواصف، لكنه لن يصمد أكثر وقد نخره النمل.. أما ريك فلقد قال إنه يفضل النوم تحت خيمة على أي حال.

لم تعرف تامارا بماذا ترد على هذا. لقد شاهدت ريك يوكسهول للمرة واحدة فقط، وبالرغم من كل ما قاله عنه جيرالد، كان لديها شعور أن الوقت لم يفت بعد لإصلاحه.. ما من رجل لديه اهتمام بالاجتماعيات يكون قد فات أو أن إصلاحه.

سألت:

- وما هو موقفك أنت؟ لا شك أن بقاءك هنا خطر عليك مع بدء موسم العواصف؟

ردت فلورا بصوت قوي:

- أوه.. أجل.. لقد منعتي جيرالد من البقاء هنا.. ولهذا أبدو مشعنة هكذا هذا الصباح.. فأنا أملاً حقائبي.

سألت تامارا ببطء:

- جيرالد منعك؟ متى كان هذا؟

- ليلة الحفلة.. لقد حدث الكثير في تلك الليلة.. ليس كذلك؟

سحبت أنفاساً طويلة من السيكارة.

- لقد كان لطيفاً جداً معي.. مما جعلني أعده بأن أكون مستعدة للرحيل دون إنذار سابق.. أتريين؟ لقد غزا حياتي تغيير كامل.

- أكنت.. تعرفين أنه مسافر؟

- لم يقل لي بالطبع.. لكن حين سمعت الخبر، تجمعت الأمور.. ولا أستطيع أن أقول لك أكثر من هذا.

مع ذلك، كانت تامارا مقتنعة أنها تستطيع أن تقول المزيد، لو أنها أرادت.. فالبسمة المشرقة التي حبتها بها كانت بليغة التعبير. لقد أعطاها جيرالد شيئاً تأمل به، شيء أرادته بشدة، فقد قالت: تغيير كامل غزا حياتي! ارتجفت تامارا داخلياً.. ووقفت متصلبة، لتقول آلياً:

- حسناً.. سأتركك تكملين إعداد حقائبك.. أخبريني إذا كنت قادرة على مساعدتك في شيء.

ضحكت فلورا بخفة ساخرة:

- تتحدثين بلهجة ابنة الحاكم! لكن لا تظني أنني أمانع.. ولأكن صادقة، لم أكن سعيدة هكذا قبل أن أكتشف أنك تامارا فليتشير. فأنا واثقة أن جيرالد لن يتزوج ليليان الحقيقية.. فهي قطعاً ليست من طرازه.. لكنني كنت أحس أنه قد يجدرك مناسبة لذوقه. علي أي حال، لقد انتهى هذا الأمر.. وأنت وأنا أصبحنا من نفس المستوى الآن.. هل تزعجك صراحتي هكذا؟

ردت دون أي تعبير:

- ليس لدي اعتراض.. لكن كلامك كله لا لزوم له.. بلغي تحياتي

لشقيقك . . وداعاً يا فلورا .

مع أن خمسة أيام كانت قد مضت منذ أن خرجت من المكاتب الحكومية بعد سماعها برحيل جيرالد المفاجيء . . فقد بدا لتامارا أنها لا زالت تجلس في مؤخرة سيارة المقر، تتحمل عبئاً ثقيلاً من الحزن . . لكنها هذه المرة كانت تحس بالعثيان . . حتى أنها لم تستطع أن تفكر بوضوح، أو التنفس جيداً .

لحسن الحظ، كانت ليليان قد خرجت هذا الصباح . . فدخلت تامارا غرفة الجلوس الصغيرة لتتبار . فهمت بوضوح مدمر ما الذي حدث بالضبط وهي تجلس فوق أحد المقاعد .

فجيرالد يحب فلورا . . وبعد رحيل ضيوفه تلك الليلة، فكر ملياً . . ومن الواضح أنه لم يعد قادراً على الزواج من ابنة الحاكم، وهذا، يتركه حراً . مع زوجة مثل فلورا قد يكون طريقه أكثر صعوبة . لكنه سيصل قمة طوحه حتى ولو طال به الطريق . . فلا شيء سيمنعه من هذا .

ربما لم تكن فلورا مخطئة جداً في ظنها أنها، أي تامارا، قد جذبت قليلاً، لكن هذا ليس كافياً، كان يجب أن تبقى ابنة السير همفري لكي تنجز هذا . . فهو قبل أي شيء آخر، متمسك بمهنته ومستقبله العملي . . وحب كرجل يأتي في الدرجة الثانية .

لكنها، وفي وقت متزامن مع الكراهية، عرفت بأن فلورا، لا يمكن أن تكون تلك النوع من الزوجة التي يحتاجها . . فهل رأى هذا بوضوح؟ قد تكون فلورا أنثى ساحرة، ومتعلمة بما يكفي للقيام بالواجبات التي لها علاقة بمركزه، لكنها تفتقد إلى الميزة الأساسية، وهي الإخلاص الصادق . فهي لا تحب جيرالد، بل تحب صورة نفسها كزوجة له . . فليس فيها ما يدل على أنها قادرة على أن تحب أحداً بعمق .

قفزت تامارا واقفة . . لا شيء يدل على أنها محقة بالفكرة التي أخذتها عن المرأة . وعلى أي حال، فجيرالد ماكر جداً في حكمه على الطبائع الإنسانية، ولا يُخدع بسهولة، حيث يمكنه أن يرى بشكل أفضل، ما إذا كان لدى فلورا ما يرغبه في زوجة .

خلال الأيام التي تلت تملك تامارا صداع دائم، جزء منه يعود إلى قلة النوم وعدم تناول ما يكفي من طعام، والجزء الآخر يعود إلى الحالة المشوشة التي وصل إليها دماغها . . كرهت جيرالد، لكن، والرياح تزداد عنواً خلال الليل، كانت أعصابها تتمزق خوفاً على سلامته . . حيث واظبت على سؤال المفوض المساعد بوقار عن أخباره كلما سنتحت لها الفرصة، لكنه لم يكن يعرف شيئاً يقوله لها ما عدا أن قبطان أحد السفن شاهد «اللانث» متوقف في «بيفوانغ» إحدى الجزر الصغيرة والتي تبعد أربعين ميلاً فقط .

وذات صباح، كانت تامارا وليليان تجلسان في ظل التراس المسقوف، بالكاد تجرؤان على التنفس، لأن حركة واحدة كانت تعني بحراً من العرق . كانت تامارا تحاول أن تخيط، لكنها وجدت الأمر مستحيلًا . . لكن ليليان لم تكن تحاول شيئاً . . بل كانت مستلقية على كرسي تضع ذراعها خلف رأسها تتأمل الطريق الداخلية للمقر، وكانت هي أول من شاهد بارني . فقالت :  
- وما الذي سيفعله هذا الأبله؟ إنه يستقل تاكسيًا صغيراً لا يستخدمه سوى المحليون . .

- تذكري أنه لا يملك سيارة .

حين وصل بارني إلى التراس كان شديد الاحمرار يتدفق منه العرق . . فانفجر قائلاً :

- يا إلهي . . أنا مسرور أنكما هنا، معاً . مارأيك؟ لقد وصلت رسالة من اليخت .

قفزت تامارا واقفة ووجها أبيض :

- اليخت؟ تعني «اللانث»؟

- أعني اليخت . . يخت الحاكم . . والدك عائد يا ليليان، وسيصل بعد نصف ساعة .

- هل أنت واثق؟

- بالتأكيد، فلقد وصلت الرسالة إلى المكاتب الحكومية وأنا هناك .

احمر وجه ليليان وتراقصت عينيها :

- أخيراً سأرى حبيبي العجوز! فلتنزل جميعاً للقائه!

قال بارني :

- ألا تنتظراني . . ؟ أنا مساعده الجديد ، ومن الأفضل أن أبدو هكذا . ولا يمكن أن أقدم له نفسي في بنتلون قصير .

قالت ليليان متذمرة :

- حسن جداً . . خذ السيارة وعد بها . إذا لم تكن هنا بعد عشر دقائق سأطلب سيارة أخرى وأسبقك . . لن أفوت لقاء أبي على الرصيف بأي ثمن !  
- أنا من جاء بخبيرك !

نظرت إليه ساخطة :

- وهذا ما يجب أن تفعله على الأقل . . لأجل السماء اذهب وغير ملابسك ، حيث كان من المفروض أن تفعل هذا .

كانت ابتسامته قد تلاشت ، وهو يتعد متمتماً :

- أنت أكثر الفاسدات نكراناً للجميل . .

اشتد ضغط ليليان على شفيتها ، ثم قالت لتامارا غاضبة :

- هل مرّ عليك في حياتك متوحش عنيد مثله !

كانت تامارا متصلبة متوترة في داخلها . . هزها الأمل المفاجيء والخيبة التي تلت إلى درجة الصدمة ، حتى أنها لم تعد تهتم لما تقول :

- بارني أحمرق . . وأنت ناكرة للجميل ، وتعاملينه بشكل بغيض . . فلا تلوميه إذا طفح الكيل معه منك . . سأذهب لآتي بقبعتي .

كانت ممنتة للابتعاد عن ليليان ولو لدقيقة أو اثنتين . . فعليها أن تعيد لملمة مشاعرها المتبعثرة وتبني حالة فكرية تمكنها من المشاركة والتمتع بوصول السير همفري .

على الأقل ، مع عودة الحاكم . . سيكون لحياتها فرصة العودة إلى طبيعتها .

\*\*\*

كان لليخت الكبير منظر رائع وهو يقترب من الرصيف . . شديد البياض ، سطحه مغطى بمظلات تقي من الشمس ، خطوطها ناعمة جميلة .

ظهر الحاكم من مقصورة أمامية ، طويلاً نحيلاً وعسكرياً ، في ثياب استوائية رسمية . . فأدى التحية ونزل برشاقة إلى الرصيف . . خرج بارني من السيارة تلحق به الفتاتين ، إلى حيث راقب ثلاثتهم تقدم الحاكم نحوهم ، وكانت ليليان نافذة الصبر حتى أنها غرزت أظافرها في معصم تامارا .

وحينما شاهد الحاكم ليليان . . تغيرت ابتسامته . . وقطع الخطوات القليلة التي تفصله عنهم وقبلها ، ممسكاً ذقنها بكل حب بين السبابة والباهم :

- مرحباً يا عزيزتي . . سمعت أنك لا زلت مشرقة كعهدي بك دائماً . كيف حالك يا تامارا ؟ من الرائع رؤيتك هنا مع ليليان .

صوت بارد ، متحفظ ، قال :

- هذا مساعدك الجديد سير همفري . . بارني وايتمور .

مادت الدنيا بتامارا . . حتى كادت أن تمد يدها لتحافظ على توازنها ، ولو فعلت للامس مرفقها جيرالد ، فقد كان ورائها تماماً .

قال السير همفري : أوه . . أجل .

نظر إلى لون بارني النبيل ، وكتفيه المستقيمين ، بدا أن السير همفري يعرف كل شيء عن بارني وأكمل :

- يجب أن تأتي معنا إلى المقر ، يا وايتمور .

انفتح باب السيارة ، ودخلها السير همفري ، وكما هو متوقع ، صعد بارني في المقعد الأمامي . . هدرت السيارة ببطء مبتعدة فأحست تامارا برغم رطوبة الطقس الحار ، أنها وسط عاصفة باردة .

ثم تحركت سيارة جيرالد الرمادية ، وتساءلت لماذا لم ترها قبل الآن . لا بد أنها كانت متوقفة وراء السيارة الرئاسية ، كان يمكن لنظرة واحدة من فوق كشفها أن تجعلها تراه .

أصعدها جيرالد في الخلف من دون كلمة واستدار ليجلس قريباً . وأعطى كلمته للسائق كي ينطلق . . وما هي إلا دقيقة حتى كانا يتبعان السيارة الرسمية مجتازين الميناء ثم بين الشوارع حيث تجمع أهل الجزيرة خارج الأسواق والبيوت ذات الواجهات البيضاء .

دخل الموكب الشارع العريض ، المعتم بالأشجار ، قبل أن يتكلم

جبر الد، ويسأل بهدوء وسخريّة باردة:

- ما بك؟ ألا تهتمين بالصعود إلى السيارة الأقل أهمية؟

لو تمكنت، لتراجعت أكثر نحو الزاوية ونظرت إلى الخارج:

- لست أدري ما تعني.

- أظنك تدرين.. ليكن في معلومك أنك الآن تامارا فقط.

هذا لا يصدق.. جبر الد يسخر منها وكأنه لم يمر على اكتشاف ليليان الحقيقية سوى خمس دقائق فقط. وكان لا غرابة في أمر غيابه عن الجزيرة هذه المدة الطويلة.. بدا شيطانياً في قساوته.. ولم تكن لديها الشجاعة لتنظر إليه.. بل قالت:

- كنت تامارا فقط، طوال الوقت.. وكان ذلك.. مجرد مزاح.

- مزاح بقلّة ذوق لو جاز لي أن أقول هذا. لكنكما تعرفان نوع مزاحكما

أكثر وبالمناسبة كان استقبالك لي رائعاً.. رأس مبتعد، وكشف باردة.

- وماذا كنت تتوقع؟ فرقة موسيقية تعزف لحن «ها هو البطل قد حضر»؟

تنفس بعمق قائلاً: لا تهتمي.. ربما أنا متعب.

ولاذ بالصمت.

كانا يستديران نحو الطريق الداخلية حين قال معلقاً:

- إذا كنت قلقة على وابتهمور لدوره الصغير في تمثيليتكما المرحّة، فلا

تقلقي أكثر.. هذا ما كان يشغل بالك، أليس كذلك؟

فاستدارت ناظرة إليه، ولم تكن مستعدةً للمعجزة الخشنة في عينيه

الفولاذيتين الزرقاوين. فتوترت أعصابها، ورفعت ذقنها لترد بحدة:

- أجل.. هذا صحيح. لقد شارك فيها بالرغم منه. وبدا من غير العدل

أن يعاني النتائج.

سألها دونما شفقة:

- هل وعدته بأن تطليبي مني أن لا أخبر السير همفري؟

فأجابت بذهول مرتبك: أجل.. وكيف عرفت؟

- لم أعرف.. بل خمنت.. في الواقع، فعلت ما ظننته الأفضل..

أخبرت السير همفري عن الأمر كله ونحن على اليخت، وخففت من

تأثيره.. فتقبله على أنه مزحة طائشة من ليليان، لذا، أشك أن تسمعي شيئاً

عن الموضوع بعد الآن.

فهمست: شكرًا لك.. كثيراً.

رد فجأة:

- فعلت هذا لأجل السير همفري.. لقد مر به وقت متعب جداً.. وما

كان ليرتاح لو أنه عاد ليجد أمامه حملاً من المتاعب.. ولحسن الحظ نال

قسماً كبيراً من النوم وهو على اليخت.. لكن يجب أن يرتاح لأسبوعين على

الأقل.

توقفت السيارة عند أسفل السلم العريض، فانضمت تامارا إلى الآخرين

عند مدخل المقر.

ودع جبر الد الجميع باختصار، وعاد إلى سيارته. ودخل الجميع إلى

غرفة الاستقبال، حيث رمت ليليان ذراعها حول عنق أبيها وقالت إنه من

الرهيب أن تكون ابنة الحاكم، والأكثر رهبة لها أنها تحس بالألم لاضطرارها

أن تكون رسمية!

تناول الأربعة المرطبات، دون كلام كثير. ثم صعد السير همفري إلى

غرفته ليغير ثيابه، بينما دخل بارني إلى المكتبة ليعد نفسه لمقابلة السير

همفري.

كان للغداء جو الاحتفال بالرغم من كونهم ثلاثة فقط.. ولم تطرح

ليليان أية أسئلة. بل أخذت تتحدث عن الرحلة من انكلترا إلى بولاني

والحفلات التي أقيمت لهما. وكان والدها يتسم لها باستمرار ويتسامح.

لاحظت تامارا أنه لم يكن يأكل جيداً.. حين انتقلوا إلى التراس، وقدم

جوزيه القهوة، ثم اختفى، عرفت سبب انزعاجه وقلة شهيته فقد أجابت

ليليان على سؤال له:

- أوه.. أجل لقد تدبرنا أمرنا هنا بشكل رائع.. أحياناً كنا نغضب من

جبر الد لأنه متسلط.. لكننا لم نتشاجر حقاً معه.. فهذا الرجل لا يقاتل..

إنه يخطط لشيء ويلتزم به.. وهذا مشير للأعصاب.. بدالي أنه يدير الجزيرة

كلها.

قال والدها متأثراً:

- جبرالد سومرفيلد، أهم بكثير من أي رجل مهم . . وخوفي الأكبر، أن يؤخذ منا إلى منصب أرفع، في مكان آخر . . فهذه دون شك خطوته التالية. ولولا جبرالد لما كنت هنا الآن . . لا أريد أن أبدو مأساوياً، لكنني في الواقع كنت غارقاً في ورطة من الطراز الأول، وهو الذي أنقذني منها.  
صاحت ابنته:

- أنت . . حبيبي . . ؟ كنت في ورطة! لماذا . . أنت شخص رصين تماماً . . فما الذي حدث؟  
وضع فنجان قهوته من يده، وأخذ سيكارة من علبة على الطاولة، وأقبل العلبة بحدة وأعادها، قائلاً:

- في البداية، لم أكن أريد أن أقول لك . لكن الأفضل أن تعرفي الحقيقة بدل الالتفاف حولها . . لطالما كان جبرالد يعارض عادتي في السفر بين الجزر بشكل غير رسمي، ولوحدني تقريباً، وحاول أكثر من مرة أن يقنعني بأخذ حرس عسكري معي . . لكنني تمسكت بطريقتي القديمة، لأن هدفي دائماً كان اكتساب الثقة بدل الخوف.

فسألت ليليان:

- وهل تصرف أهل الجزيرة بشكل مؤذي؟

فأسند ظهره إلى الكرسي ونظر إلى الحديقة:

- في البداية، كل شيء سار بنعومة . . ولا بد أنك سمعت بأن زيارتي إلى «فيلون» كانت لتسوية خلاف إرثي . . حسناً . . اكتشفت أن الزعيم المعجوز مات في ظروف عنيفة. لكن شعبه كان خائفاً، وتوسلوا لي أن لا أحقق بالأمر، بل أن أعين خليفة له في الحال . . بعد التفكير، قررت أن أفعل ما طلبوه . . لذلك قارنت ادعاءات المطالب بالزعامة مع مؤهلات ابن الزعيم المعجوز، وقررت لصالح الابن . . ثم أعلن الزعيم الجديد وبدأت التحضيرات للاحتفالات . . حتى هذا، كان كل شيء على ما يرام.

تامارا، التي بقيت حتى هذه اللحظة مستمعة وجدت نفسها تسأل بلهفة:

- وهل ذهب جبرالد إلى «فيلون» يا سير همفري؟

هز رأسه:

- أجل . . لكنك سبقتي . . فهل أنا أطيل الحديث كثيراً؟

أكدت له بحرارة، مع أنها ترغب في أن يسرع في قصته: بالطبع لا.

فحك فكها النحيل:

- يبدو أنني وثقت بأهل الجزيرة كثيراً . . وعندما ذهبت للتنزه على ظهر الجواد وحيداً بعد ظهر أحد الأيام أحاط بي فجأة ما يقرب من الخمسين من المتعاطفين مع الشخص المطالب بالزعامة، وأخذوني إلى الجبل.  
شبهت ليليان:

- يا للسماء! أتحدث هذه الأشياء حقاً؟

- ولم يكن الأمر لطيفاً. «فيلون» جزيرة بدائية، ومخيمهم كان بدايياً بالرغم من أنهم عاملوني جيداً بقدر ما يستطيعون . .  
كانت تامارا تتمسك بقوة بصبرها، ترجو أن يصل بسرعة إلى الجزء الذي يدخل فيه جبرالد القصة . . وتابع:

- بعد أربعة أيام من الكمين، تمكن خادمي من اقتفاء أثرني . . شاهدته يختبئ قرب المخيم وتمكنت من تهريب رسالة له بوصولها إلى سكرتيري المساعد، الذي كان لا يزال في قرية الزعيم . بعد ذلك، مرت الأيام وكأنها لا تنتهي . . أحسست أنني أضعف شيئاً فشيئاً . .

تدحرجت دمعان على خدي ليليان . . لكنها لم تقل شيئاً، فتابع والدها

بهدوء:

- في الواقع لم أعرف المزيد إلى أن حضر جبرالد . . غير محتجزتي مكانهم عدة مرات، لتجنب الغارات عليهم من قبل أهل الجزيرة الآخرين . على أي حال لم يعرفوا بوصول جبرالد، لأنه خدعهم بتركة «اللانث» في جزيرة «بيفوانغ» وسافر بقية المسافة بقوارب محلية.

ضحك وكأنه تذكر شيئاً، ثم قال:

- لقد كانت الطريقة التي ظهر بها غريبة . جاء مع الفجر في فرقة صغيرة من أهل الجزيرة . . قفزوا رأساً من بين صخور التجبل، وأحاطوا بنا . . أطلق جبرالد رصاصة واحدة في الهواء لإظهار جدبته، وفي وقت لا يذكر، اعتقل

مسبب المشاكل وأصبحت حراً.. لقد جئنا بالمتنمر معنا إلى «بولاني» ولا بد أنه الآن في زنزانه يفكر بكل شروبه.

روى بقية الحادثة فيما بعد وهو يدخن سيكاره. أما مساعده الذي كان لا يزال في القرية، فقد أصبح لا حيلة له.. لكنه أعطى الأوامر للخادم الذي جاء بالرسالة، أن يبقى البيختر في الخليج، رمزاً للسلطة. وعلى الخادم أن يفعل ما بوسعه لإيصال رسالة إلى المفوض العام في بولاني، بواسطة قارب صغير، ولهذا السبب استغرق الأمر وقتاً طويلاً.

جيرالد تلقى الخبر في وقت متأخر من ليلة الحفلة.. فأمر على الفور بإعداد حقيبة، وإعداد اللانش لرحلة طويلة.. كان عليه أن يتسلل مسافراً والجزيرة نائمة وأن لا يترك خبراً عن مهمته.. فخبر العصبان في «فيلون» قد يتسبب بمشاكل كبيرة بين الجزر لو أعلن.

سألت تامارا:

- لكن لماذا بحق الله لم يأخذ جيرالد معه جنوداً؟ من الجنون الذهاب لوحده.. من المفترض أن يكون متعقلاً!

- لا يمكن للجنود أن ينزلوا الجزيرة، دون أن يلاحظهم أحد، كما فعل جيرالد.. ويجب أن نتذكر أن رغبة هذا الرجل المجنونة، بأن يكون زعيماً، أوصلته إلى إرتكاب الخيانة وعقوبتها الموت.. ولا شيء يخسره.

- أتعني أن جيرالد كان خائفاً من أنهم لو عرفوا بأن الجنود يفتشون عنهم، كانوا سيقتلونك؟

- هذا هو الاستنتاج المنطقي..

ارتجفت ليليان، لكن الدموع لمعت في عينيها، وقالت:

- جيرالد رائع.. أليس كذلك؟ كنت أعرف بطريقة ما أنه هكذا.

لم تستطع تامارا التفكير بدور جيرالد في المسألة دون ارتجاف داخلي عنيف.. مجنون.. بارد.. جريء.. لا يلين.. بإمكانها التفكير بدزينة من الأوصاف لوصف أعماله.. مع ذلك، لا واحدة منها تفني بالمراد.. إنه يدفعها إلى الغضب والهزيمة معا.. إلى الفخر والخوف.

مرّ بقية ذلك اليوم بهدوء. وانتقل بارني إلى جناح حضر له في الجهة

الأخرى للممر الأعلى من المقر، وعلى الفور أخذ بالتعرف على ما يتوقعه الحاكم منه بالضبط.

أخيراً، كان على ليليان أن تتعلم أن لها مركزاً يجب أن تحافظ عليه.. هناك جمعيات خيرية لصالح أهل الجزيرة، متوقع منها أن تهتم بها.. ومن عادة السيدة الرئاسية تفقد ما حولها. قال لهم السير همفري هذا وهو يغمز لها، لكنها أجابت أنها ستحاول.

لكنها لم تهتم بأن تنظر إلى بارني نظرة واحدة.. كان له غرفة جلوسه الخاصة حيث يتناول وجبات طعامه، ويقضي معظم وقته. وحينما يلتقيان صدقة على السلم أو في الردهة، كان يتمتم كل منهما بأدب «صباح الخير» ويتأبعان طريقهما.. لم يكن لديها وقت لبارني.. وهو، كما يبدو، أصبح مشغولاً بعمله الجديد.. رياح الحب اختفت تاركة وراءها الهدوء البارد.. ونوقعت تامارا مصيراً مماثلاً لنفسها.

حين كانت في طريقها من انكلترا، لم يخطر ببالها أبداً أنها ستشتاق في جزيرة كبولاني إلى عملها ورفاق مكتبها..

توقعاتها حول بولاني في تلك الأيام كانت بعيدة عن الواقع.. كانت ترى نفسها في جزيرة تستحم بالشمس، وليليان دائمة المرح محبة للحياة.. بارني لم يكن له وجود بالطبع، ولا جيرالد.. مع ذلك لم تستطع تامارا الآن تصور عالم لا وجود لجيرالد فيه..

كان من عادته زيارة المقر كل يوم، في طريقه من المكتب إلى منزله لتناول الغداء.. وبناء لاقتراحه، كان السير همفري يلزم المنزل ليرتاح قدر ما يستطيع.. وحمل على عاتقه أن يأتيه بكل المسائل التي تحتاج إلى قرار أو نقاش.. وأول يوم جاء فيه إلى المقر، شاهدته تامارا.

ذلك الصباح، وصلت الزهور من الحديقة متأخرة، وبعد أن رتبته تامارا خارج المنزل، حملت الأوعية كل على حدة إلى أمكتتها.. دخلت غرفة الجلوس لتضع وعاء الزهور قبل أن تدرك أن جيرالد هناك، ولوحده.

حياها باقتضاب وأخذ منها الوعاء:

- أين تريد أن تضعه؟

- هناك، فوق الخزانة . . أرجوك . . شكراً لك . . أيعرف السير همفري أنك هنا؟

- على الأرجح أنه يعرف . . فقد شاهدني جوزيه وأنا قادم . . هل ترتبين الزهور دائماً بنفسك؟

- معظم الوقت، فأنا أتمسك بأي عمل أستطيع القيام به .

- الآن ذلك يساعد في تضيبة الوقت بسرعة؟

- ليس الأمر هكذا .

لكنها تعرف أنه هكذا . . الساعات تمر ببطء حين يكون المرء تعبساً . .  
وأكملت :

- أنا لست معتادة على التكاسل . . وأشعر بسعادة أكبر إذا كان لدي مهمات أقوم بها . . أترغب في شراب؟

- لا . . شكراً لك . . على فكرة . . أستطيع الآن إعطاء واينمور التصريح بزيارة حقول اللؤلؤ . . يوم طلبه، لم يكن ممكناً، لأنني كنت قلقاً حول الحاكم، وأحسست أن على كل تحرك خارج الجزيرة أن يتوقف، إنه إجراء ضروري . . وسأرى أن يشمل التصريح اصطحابه لشخص آخر معه .  
تنفست بجدة من بين أسنانها . . وقالت :

- سأبلغه هذا .

- عظيم . . أظن من الحميم لك أن يكون في نفس المنزل معك . سمعت من الحاكم أنه جيد في عمله . . لذلك لست مضطرة للانتظار طويلاً لطلب تصريح الزواج .

- زواج؟ ما الذي جعلك تفكر بهذا؟

- وهل تسرعت؟ أرجو عفوك .

سخرته جعلتها تغضب، حتى أنها لم تستطع الكلام للحظات . . حين مرت تلك اللحظات، كانت الرغبة في جرحه قد مرت معها . . فقد شاهدته يهز كتفيه، ويستدير نحو حقيبة أوقاه . . إنها عكسه تماماً . . لا تستطيع قول شيء لاذع . .

كان ينظر إلى الكتب المصفوفة في الخزانة وهما يقفان هناك، بينما

وقفت إلى جانب الوعاء الذي يحمل الزهور الذهبية وانفتح الباب ليدخل الحاكم مع ابنته .

ليليان، تلك المخلوقة الزئبقية، كانت تتألق بجمال أخاذ . . وقفت للحظات مؤثرة، ثم اندفعت لترمي ذراعيها حول كتفي جيرالد وتضغط رأسها إلى صدره، ثم رفعت رأسها لتقبل خده بصوت مسموع . .

قال جيرالد بخفة :

- يا إلهي . . لم أكن أظنك مهتمة بي !

عائته ثانية :

- هذا لأنك جئت بأبي سالماً . . أنت رائع جيرالد .

هل أدار نظره إلى تامارا؟

- هذا أمر منعش . . لو عرفت أن مكافأة كهذه تنتظرني، لكنت جئت في وقت مبكر .

تأوهت ليليان :

- حبيبي . . أنت أكثر الناس إنسانية! يجب أن أتعرف إليك بشكل أفضل .

- ولم لا . . ؟ فانت امرأة شجاعة!

حين رفع رأسه، كانت الابتسامة التي وصلت إلى تامارا، مليئة دون أدنى شك، بسخرية مآكرة حادة، اخترقت قلبها مباشرة، واستقرت هناك .

كانت تعلم أنه يبلغها شيئاً . . مهما كانت هي وليليان قد خططنا فيما بينهما، ومهما حاولتا جاهدتين أن تعوضاه، فالطاولات انقلبت، حتى دون أن يرفع أصبعه . . وها هي، ليليان، ابنة الحاكم، تدعوه إلى التقرب منها!

ثم تدخل السير همفري قائلاً :

- من العجيب كيف أن النساء يغيرن كل شيء . . فالمرء يلاحظ أشياء لم يكن يهتم بها من قبل . . يجب أن تجرب هذا جيرالد .

- ربما سأفعل . . في يوم ما .

وربت على ذراع ليليان يصرفها عنه . بعد ذلك ذهب الرجلان إلى المكتبة .

تجنبت تامارا مقابلة جيرالد بعد ذلك . . مع أنها رأته من شرفتها مرة أو اثنتين . . واشتكى السير همفري من رفضه البقاء لتناول الطعام معهم . . ومن أنه لا يحصل على الكثير من الراحة . ولقد دعاه إلى العشاء ، لكن كالعهد به دائماً كان هناك شيء يمنعه من القبول .

في إحدى الليالي ، أقام السكان المحليون كرنفالاً مائياً . . فأضاءوا قواربهم بمشعل متوهج عند كل طرف ، وهم يطوفون بها فوق مياه الخليج الهادىء السابح في نور القمر .

في هذه اللحظة وصلت تامارا مع ليليان إلى الشاطئ ، مع بارني وآخرين . . فراقبت ذاهلة ألسنة النار المرتفعة من المشاعل في الظلام ، ثم شاهدت الزهور تُنثر فوق المحيط بأعداد ضخمة .

استدارت تامارا وحدها ، على الفور ، رأت فلورا يوكسهول ، أمامها . . ففكرت للمحظة أن من الغريب أن تكون امرأة بيضاء وحدها بين حشد أهل الجزيرة . . لكنها سرعان ما أدركت أن فلورا تنظر حولها برعب . . إنها خائفة .

أسكت تامارا كُم بارني وأشارت إليه :

- أنظر . . هناك فلورا يوكسهول . . أظنها جاءت مع أخيها وفقدته .  
أيمكنك أن تصل إليها . . بارني ؟

- ليس بدون أن أصطدم بشخص وأقتله . . سأحاول أن أبقيا تحت نظري ، وسنلحق بها عند الطريق .

بدا لها هذا سهلاً . لكن سكان الجزيرة كانوا هناك بالآلاف الليلة وتقدمهم بطيء جداً . ما إن وصلوا إلى «مارين درايف» حتى شاهدت فلورا مرة أخرى ، وحشت بارني أن يلحق بها .

كانا على بعد عشرين يارداً من فلورا ، حين تقدمت سيارة رمادية . . شاهدت عينا السائق الحادتان فلورا على الفور وكأنها زهرة بيضاء رقيقة بين زهور داكنة . توقفت السيارة ونزل منها كمن وجد شيئاً ، واندفع نحوها ، وكان لا عائق أمامه ، مندفعاً إلى جانب فلورا . رأسه وكتفاه أعلى من كل الناس حوله ، وأخفض نظره نحوها ، يده تمسك بمرفقها . . قادها وهو

بحميتها إلى السيارة ليجلسها في المقعد الأمامي .

أحست تامارا بشلل كامل . . فقد شاهدت داخل السيارة التي أضيء داخلها الوجه الذي أدارته فلورا إلى جيرالد وهي تجلس إلى جانبه . عينها المتعددتا الألوان كانتا تبترسمان من خلال دموع تجري ، وقد فقد الفم الأحمر قساوته ، وأخذ يرتجف بخوف وراحة . كان يقول لها شيئاً يهدئها . . وكادت تامارا أن تسمع اللهجة الساخرة اللطيفة . . وأدار السيارة ، ثم انطلق .  
قال بارني ضاحكاً :

- حسناً . . جاء جيرالد مرة أخرى للإنقاذ . .

الحادثة الصغيرة أجابت على سؤال كبير لتامارا . . أصبحت تعرف الآن لماذا يأتي جيرالد إلى المقر للعمل فقط . . قبل أن يغادر بولاني إلى فيلون ، كان قد اتخذ قراره ، ولا يرى الآن سبباً يدعو لأن يغيره . يستطيع تحمل الزواج من فلورا ، إذا أراد . . لقد طلب منها أن تعد حقائبها لأنه ينوي وضعها بأمان في الفندق . . وربما فعل هذا . . وحين يختار الوقت سيقول للجميع إنه سيتزوج فلورا يوكسهول .

كانت تامارا ترتجف بينما كان بارني يقودها لينضمها إلى الآخرين . لكن تحفظها وكرامتها كانتا صفتين رائعتين فيها . . فهما تؤمنان لها التصرف الطبيعي ، الذي لازمها طوال تلك الليلة ، حتى أنها ضحكت مع ليليان ومازحت الرجال . . كذلك ساعدتها على الوصول إلى المقر ، جافة العينين ، متمنية ليلة سعيدة ليليان .

ولما أصبحت لوحدها لم تعد بحاجة لشفة لا ترتجف . مع ذلك لم تتمكن من البكاء . . فمشاعرها جفت . . أحست فقط بوحشة تلوي قلبها .

\*\*\*

أمانعين في ذهابي معه في الغد؟

- ولماذا أمانع؟ الضجر سيكون لك، وليس لي!

ثم وقفت ساخطة لتدخل المنزل.

وهكذا، كان هناك عدة أسباب لسرور تامارا وهي تخطو إلى القارب ذلك الصباح، وتراقب الفتية المالويين يجذفون مجتازين الخليج إلى الخارج، من خلال فرجة في الجرف الصخري.

كان المراقب الذي جاء لكي يستقبلهما رجلاً عجوزاً صغير الجسم، له قسما وجه شرقية، ولهجة إنكليزية حلوة.. أوه.. بكل تأكيد، سيكون سعيداً جداً إذا أتيج له أن يشرح لهما عملية زراعة اللؤلؤ.

تلمست تامارا بعض اللآلئ.. كانت لماعة مصقولة دقيقة الاستدارة.. مزروعة في أصدافها في المياه الدافئة، كي تتحلى بها نساء لم يفكرن مرة بمن يصنع لهن هذا الجمال اللامع.

أخذهما دليلهما في قارب وأشار إلى الأقفاص التي تحوي المحارات الصغيرة تحت سطح البحر.. كل قفص كان عليه رقم مسجل، ولا يخرج أبداً من البحر، إلا تحت إشراف المراقب.

قبل توديعهما، أخرج المراقب لفافة صغيرة من جيبه، وسأل:

- هل أنتما صديقان للمفوض العام، السيد سومرفيلد؟

ردت تامارا على الفور:

- نعرفه جيداً.. أترغب أن نوصل له رسالة؟

- أريد أن تأخذها هذا له.. إنها لؤلؤة سوداء ضخمة وجدناها في مخارة

علاقة.. وكنت قد وعدته بواحدة يضمها إلى مجموعته.

- أليست ثمينة؟ يمكنك تركها تذهب.. هكذا؟

هز الرجل كتفيه دون اكتراث:

- إنها آمنة معكما أكثر مما هي مع أحد عمال المراكب.. والسيد

سومرفيلد سيدفع ثمنها لشركة اللؤلؤ، كما فعل سابقاً.

أخذت تامارا اللقافة بحذر شديد، ودستها عميقاً في جيب فستانها.

سترسلها إلى منزل جيبالد هذا المساء.

## ٧ - ثم أتى الألم..

ذهبت تامارا، بعد طول انتظار إلى حقول اللؤلؤ في «ماناي» مع بارني.. كان قد جاء في اليوم السابق، واعتذر بكل سحر من ليليان وقال:

- حصلت على الإذن تامارا.. ولأنك كنت طيبة معي، هل تأتين معي؟

أحست باهتمام ليليان المركز، لكنها لم تهتم.. بارني مريح، وبدت فكرة قضاء يوم بعيداً عن كل شيء تروق لها فقالت:

- بالطبع سأتي.

- الغد هو يوم السبت.. لذلك نستطيع السفر باكراً.. أنتاسبك الساعة

التاسعة؟

- تماماً.

- عظيم إذن.. سألقاك هنا على الشرفة في التاسعة.

كان قدمر على ذهابه بعض الوقت قبل أن تعلق ليليان ساخرة:

- لست أدري ماذا دها هذا المساعد.. لقد أصبح رسمياً.. أنظنين أن

العدوى سرت فيه من جيب الد؟

- لا.. لكنني أعتقد أنه كان هكذا دائماً في عمله.. حين التقيت به في

انكلترا، كان في إجازة، وهو لم يبدأ العمل هنا إلى أن عاد والدك.. والان

تريته كما هو عادة.

- أنت مندفعة بحرارة للدفاع عنه.. أليست هكذا؟

ردت بحدة:

- وسأكون مدافعة عنك بنفس الحرارة لو حاول شخص أن يظلمك.

غادرا حقول اللؤلؤ، وتناولوا غداء نزهة في المركب . . ثم تركا بحارة المركب على الشاطئ يختلطون مع أهل الجزيرة، كي يجذفا لوحدهما حول الخليج الصغير بارتياح، وهما ناعسان يبادلان الحديث.  
قال بارني:

- أتعلمين . . ما هو أشد أسفاً من أي شيء آخر في العالم، أننا لم نقع في حب بعضنا . . فنحن نتفق معاً بشكل جيد.

- وقد لا نتفق لو كنا نحب بعضنا . . فهذه حالة، كما أعتقد، أبعد عن الراحة في مراحلها الأولى.

- لكن يجب تحملها، إذا كان الاثنان متأثرين، لكن عدم التأكد من وجود فرصة للنجاح مع المرأة هو الذي يجعل الحب لا يطاق.

كان يتحدث متعمداً، حتى أنها أحست أنه يشير إلى تجربته المريرة مع ليليان . . سألته بحسرية:

- بارني . . إلى أي مدى كنت تحب ليليان؟

كان يحدق في رؤوس قصب «البامبو» وأشجار النخيل، ويدها متشابكتان تحت عنقه، ويرد مفكراً:

- يقولون إن لا وجود لحب من جانب واحد . . وإن هذا النوع من العاطفة هو مجرد رغبة . . أتصدقين هذا؟

- لا . . لا أصدق.

رفع رأسه لينظر إلى وجهها الشاحب فجأة مع لطخات حمراء على أعلى الخدين.

- ولماذا لا تصدقين؟

لو أن هذا السؤال قد طرح عليها من قبل لردت بسرعة . . لكنها الآن فكرت لحظات ثم ردت بمنطق:

- يبدو واضحاً في كل اثنين يتزوجان أن أحدهما يحب الآخر أكثر . . ونسمع كذلك بفسخ الخطبة . . ولنفس السبب . . فالرغبة سريعة

ودينامكية، وأظن أنها تستنفذ نفسها بسرعة . . أما الحب فلا . . وافق مكتئباً:

- أجل . . هذا صحيح . . إنها كالجحيم أليس كذلك؟

لم يكمل الحديث، ففي اللحظة التالية، قذفا من على كرسيهما، بفعل صدمة قوية أبطأت سير القارب ليستدير وتحنشر مقدمته داخل شق في الجرف.

صاح وهو يتعثر واقفاً:

- يا إلهي كم أنا محنون . . أنسيت كل شيء عن الدقة؟ إذا لم نبتعد عن

هذا المكان بسرعة سيتحطم المركب . اسمعي، من الأفضل أن تجذفي قليلاً من هذا الجانب . . بينما أرفع المركب بالمجذاف من هنا . . أنتطيعين فعل

هذا؟

- سأحاول.

بالرغم من المد الهاديء، إلا أن البحر كان الآن في أوجه . . كان أملمهما الوحيد في دفع المركب فوق الصخر الوردي في وقت ترتفع فيه موجة قوية فوقه . . بقيا على تلك الحال حتى سمعا صوت تكسر قوي . . سألت تامارا

على أثره بارتباك:

- ألا يجب أن نسيح إلى الشاطئ ونرسل البحارة إلى هنا؟ لا بد أنهم واجهوا مثل هذه المتاعب من قبل.

- لا يمكنني السماح بأن تسبحي كل هذه المسافة . . وقد لا يكون هناك قارب آخر يأخذنا إلى بولاني، ولا نجرؤ على التأخر وإلا أرسلوا فرقة نفتيش

لكي تبحث عنا . بكل بساطة، يجب أن نخرج هذا القارب من هنا قبل أن يتحطم . . انتظري دقيقة.

ثم تسلق الصخور، فغمرته المياه حتى الركبتين . مال إلى القارب ليعطيه دفعة هائلة، ومع الموجة التالية، تحرك المركب قليلاً . فصاح:

- لو أن أحداً معنا من الجانب الآخر . . عندها يمكننا الخلاص . . حين أصبح، شدي بالمجذاف من ذلك الجانب، بكل قوتك .

وفعلت تامارا . . لكن المجذاف أفلت وأدخل شظية كبيرة في

ساعدها . . فاجتاحتها نوبة من الغضب بسبب الألم الشديد الذي يخز ساعدها فرمت المجذاف المكسور من يدها صائحة:

- هل أستخدم عمود السارية؟

- إنه ثقيل جداً عليك .

جاءت موجة لم يكن قد أخذ استعدادها لها فكادت ترميه . ونعت نفسه  
بعدة أنواع من النعوت ، ودفع المركب بحنون .

وتفهمت تامارا مزيج الغضب واليأس داخله . . إنه يلوم نفسه بشدة . .  
وهو يتصور بيأس الإذلال الذي سيواجهه لو تحطم القارب وأرسل «الانش»  
من بولاني لإنقاذهما . . لكن أفكارها لم تذهب بعيداً أكثر من هذا . .  
فاحتياجات بارني واضحة وعليها أن تساعده . . كانت الشمس لا تزال تشع ،  
والموج بالرغم من ضخامته وصخبه ، كان مرتفعاً بشكل عادي .

نزلت من على جانب القارب دون أن تذر به بذلك ، فوجدت لنفسها  
موطاً . قدم فوق الصخور المرجانية .

صاح بارني بخوف :

- ارجعي . . لو حدث لك شيء سيشتقوني .

ضحكت ، ثم ثبتت توازنها وقالت :

- ثلاث دفعات كبيرة ، ستفي بالمطلوب . .

لكن هذا استلزم أربع دفعات من الحجم الخارق . . وتححرر القارب  
ليترجع إلى الوراها يتهدى دونما رحمة . . وصاح بارني بشيء لم تسمعه ،  
وتقدم إلى الأمام . . فلحقت به مبقية عينها بعيداً عن الكهوف المخيفة حيث  
من المعروف أن الأخطبوط يختبئ فيها . ورمى بارني نفسه إلى القارب ثم  
استدار ليحملها إلى جانبه . . وبعد سلامتهما جلس كل منهما ورأسه بين يديه  
لعدة دقائق لكي يستعيد أنفاسه .

ثم قال بارني بارتجاف :

- لو أنك أصبت بأذى ، لغطست إلى الأسفل وبقيت هناك .

أبقت يدها فوق الجرح البشع المؤلم على ذراعها الأيمن ورفعت رأسها  
بابتسامة شاحبة وقالت :

- ما كان هذا ليفيدني أبداً . . ألا تظن أنك يجب أن تستلم الدفة الآن؟

بعد عشر دقائق وصلا إلى الشاطئ . . فراقب أهل الجزيرة باهتمام

الرجل والفتاة ينزلان إلى الشاطئ . .

طلب بارني السارنغ ، وبلووزة لتامارا . . ووجد أن القارب بحاجة إلى  
إصلاح طفيف . . فطلب منهم إصلاحه مستفيداً من مدة الانتظار التي تكون  
ملايسهما فيها قد جفت فجلسا في ظل نخيل جوز الهند ليستريحاً .

تفحصت تامارا جرحها جيداً وهي تغير ملابسها فوجدت أن الشظية  
الضخمة كانت مغطاة بالدم المتجمد ، ومدفونة في الجزء الأكثر استدارة من  
ساعدتها . . فاضطرت لتركها خوفاً من أن لا تتمكن من إكمال العمل . .  
ولفت ذراعها بشرير حريري أعطتها إياه أحد النسوة ، ودفعت ببارني إلى  
الاعتقاد أنها إنما تخفي خدشاً صغيراً .

وما ان أصبحتا جاهزين للعودة حتى كان المغيب قد بدأ . . وكانت  
الساعة الثامنة إلا رباعاً حين توقف القارب على المرسى الحكومي . وربط  
وراء اللانش مباشرة . . بينما كان بارني يساعد تامارا لتصعد ، ظهر ضابط  
شاب إلى جانبه . وقال بلطف :

- مرحباً . . كنا نقف على أهبة الاستعداد لنخرج إلى نجدتكما . . السير  
همفري والمفوض العام سألا عنكما ، وهناك سيارة تنتظركما .

أجاب بارني متجهماً :

- هذا أمر سار على أي حال . . فما كنت لأتمكن من إيصال تامارا إلى  
المنزل في عربة تاكسي محلية .

- هل واجهتما متاعب؟

تدخلت تامارا بسرعة قائلة :

- اصطدم المركب بالصخور ، واضطررنا لإصلاحه . . وكان علينا أن  
نتنظر . . هذا كل شيء .

كانت ممتنة لأنه لم يستطع رؤية حالة ثيابهما الجافة الشعثاء . . قد  
يتمكن بارني من تجنب التساؤل بسهولة أكثر منها ، فهناك مدخل جانبي إلى  
المقر . . لكنها مضطرة لأن تمر من الردهة المقابلة تماماً ، وتصعد السلم  
الرئيسي .

قال لها والسيارة تنطلق بهما :

- من الأفضل أن نكون صادقين . . وأنا أسف جداً لهذا يا تامارا .  
- لا حاجة لأن تشرح شيئاً . فلنتنظر لنرى كيف تسير الأمور في المقر .  
فجأة، وبإحساس بالغثيان، تذكرت اللؤلؤة السوداء . فاندفعت يدها  
إلى جيبتها لتجدها فارغة . للحظات طويلة جلست دائخة . . لقد أوتمنت  
على لؤلؤة سوداء نادرة توصلها إلى جبرالد . . وضعتها في عمق جيبتها،  
لظنها أنها أكثر أمناً من حقيبتها الصغيرة التي تضع فيها زينتها . . حين صدمنا  
الصخور، بقيت الحقيبة في المركب . . لكنها فقدت اللقافة الصغيرة من  
جيبتها وهي تسبح، اللؤلؤة السوداء عادت إلى المكان الذي منه جاءت . . إلى  
البحر .

طوال الطريق إلى «كالاباهيل» لم نستطيع التفكير بشيء آخر . . كلمها  
بارني، لكنها لم تعرف ما قال .

لم يكن الباب الرئيسي الكبير موصداً، ودخلت بهدوء إلى الردهة  
الخالية، كان باب غرفة الجلوس الكبيرة موارباً قليلاً . . ينبعث منه نورٌ  
خافت . . وكأنما هناك من يقرأ تحت مصباح، لوحده . على الأرجح أنه  
السير همفري، ولا بد أن ليليان في الخارج .

قطعت الردهة بحذر وصعدت السلم . وكان عليها أن تغير ثيابها بسرعة  
وتقرر ماذا يجب أن تفعل بشأن اللؤلؤة، وهناك ذلك الألم في ذراعها كذلك،  
مع أنه مقارنة مع اللؤلؤة، يمكن تجاهله . .

عندما وصلت أعلى السلم، نظرت إلى يسارها لترى بارني متردداً عند  
باب غرفته، ينتظر ظهورها . حيث لوح لها واختفى . . فتنفست بعمق، ثم  
استدارت يمينا . . وهي تشعر أن الدم توقف بارداً في عروقها .

كان جبرالد قادماً من الشرفة الواسعة تحت القبة . . وبعد أن أقفل  
الأبواب الزجاجية، تقدم نحوها باستعجال، لا بد أنه شاهد وصولهما . .  
ربما كانت محاولة طبيعية للدفاع عن النفس هي التي جعلتها تتحرك إلى  
الأمام لتقف في مكان حيث النور فيه أخف .

وقف ينظر إليها لدقيقة دون كلمة . . ثم أشار إلى الذراع التي كانت  
تمسكها دون وعي منها بيدها الأخرى وسأل بحدة:

- أحصلت لك حادثة؟

- ليس هناك من خطر . . أنا . . لم أكن أعرف أنك ستكون هنا .

انحنى نحوها أكثر:

- دعاني السير همفري للعشاء ولم يقبل رفضي . . لم أشاهدك من قبل  
بمثل هذا الشحوب . . ما الذي حدث لك بحق السماء؟

امتد لسانها لترطيب شفيتها، وهمست:

- جبرالد . . فعلت شيئاً فظيماً . . المراقب العام في حقول اللؤلؤ  
أعطاني لؤلؤة سوداء لك . واحدة كبيرة لمجموعتك . وأنا . . أضعتها .

- أهذا كل شيء؟

رفعت بصرها إليه بعينين واسعتين بالقلق والذهول وقالت:

- ألا يكفي هذا؟ لا يمكنني أن أسامح نفسي لفقدانها .

- أتمانعين من إلقاء نظرة على ذراعك؟

- لكن اللؤلؤة . . ماذا سأفعل؟

- لا يمكنك فعل شيء . إلا إذا كان لديك فكرة عن المكان الذي ضاعت

فيه . . لا يعجبني منظر هذا الحرير المحلي على ذراعك . . فقد يكون

ملوثاً . . ألدريك رباطات طبية في غرفتك؟

- هناك لصوق في الحمام . . لكن اللؤلؤة جبرالد . . أعتقد أنني فقدتها

في البحر .

- إذن، هذه نهايتها . . أليس كذلك؟ فكري بالأمر جيداً . .

يده كانت بالكاد تلامس ذراعها اليسرى وهو يقودها إلى غرفتها .

- تبدين وكأنك أمضيت يومك كله في المحيط دون أن تخلعي ثيابك . .

إن رائحة البحر تنبعث من شعرك . . من الأفضل أن تجلسي .

قربه منها وهما وحيدين كان أكثر من أن تتحمله . . الرقة المكبوتة التي

نزع فيها الرباط عن ساعدها أطفحت الكيل . . واحترقت عينها بدموع لم

تجرؤ على تركها تنهمر .

تتمسح بوحشية، وهو يكشف التورم القرمزي وفي وسطه الجرح:

- يا إلهي! ما الذي دخل هنا؟

- قطعة خشب . . شظية .

- كم ساعة لك وأنت هكذا؟

لم تجب . . وسرعان ما ملأ جبر الدجرن المغسلة بالماء الساخن ووضع فيه المظهرات . . وكأنها طفلة، أحناها إلى الأمام حتى غمس لها ذراعها في الماء . . وأخذ ينظف الدم المتجمد . عاد إلى خزانة الحمام ليجد ملقطاً غمسه في زجاجة المظهر، وهو يمسك معصمها بشدة كان يشد على فمه أكثر . . وقال:

- ستؤلمك كالجحيم . . لكن يجب أن لا تتحركي وإلا فسيفى جزء منها في الداخل . . أسمعين هذا؟

هزت رأسها . . عيناها كانتا متجمدتان من الألم والدموع المكبوتة . تفجر العرق البارد من كل مسام جسمها، وهو يعمل، مع ذلك تمكنت من أن لا ترتجف . قمة رأسه كانت قريبة من وجهها، لكنها كانت تحدق من فوقه إلى الجدار الأخضر .

قال لها بهدوء مدهش:

- لا تقلقي بشأن اللؤلؤة . . فاللؤلؤ الأسود ليس جميلاً . . وقيمته في السوق منخفضة أكثر من اللؤلؤ الآخر . لكن ذات الحجم الكبير قد تثير الفضول . . هذا كل شيء . . وسيرسلون لي واحدة أخرى في وقت آخر، لو طلبت منهم هذا .

ثم أصبحت الشظية في الخارج يضمها في راحة يده ليربها لها . طولها إنش أو يزيد .

قال من بين أسنانه:

- أفكر جديداً أن أرسل وايتومور إلى بلاده . أي رجل يأخذ امرأة لنزهة صباحية بسيطة وسعيدة، ثم يعيدها في مثل هذه الساعة وفي مثل هذه الحالة إما أن يكون مجنوناً أو خنزيراً . . على أي حال، إنه غير مناسب لمنصب المساعد الخاص للحاكم!

مع شدة إعيائها، سارعت للدفاع عن الغائب:

- لم تكن غلطته . . ولم يكن يعرف أن هذا ليس بأكثر من خدش بسيط،

فأنا لم أره إياه .

- وكيف حدث؟

- كنا قرب الجرف المرجاني . . وكنت أتلاعب بالمجذاف، فانكسر . ووقعت في الماء، لهذا تبدين كالفرزاعة في الحقل . . أنتما الاثنان كتما تتمتعان معاً في القارب دون الاكتراث بالوقت . . ألم يخطر ببالكما أن شخصاً هنا قد يقلق لو لم تعودا قبل الظلام؟

- كان خطأ سيئاً . . أكاد أؤمن أن لؤلؤتك المتوحشة أصابتنا بلعنة سيئة . . وإذا كنت غاضباً مني، فلماذا تزعج نفسك معي؟  
أطلق تنهيدة ساخطة:

- لست غاضباً منك . . لكنني منزعج لأن وايتومور يفعل أشياء تكدر السير همفري .

سحبت ذراعها منه، ونظرت إلى الرباط الوردي الذي وضعه عليها .  
- أوه . . أنت مهتم جداً بالحاكم . . ألسن كذلك؟ هل ستبقيه منتظراً العشاء إذن؟

كان يجحف يديه بعد أن غسلهما . . فنظر إليها نظرة غير مباشرة:  
- سأندبر هذا . . الأفضل أن تذهبي إلى النوم . . سأرسل لك صينية طعام .

فردت بمرارة:

- ألن يقلق هذا السير همفري أكثر؟

لا بد أن جبر الد لا حظ النظرة التي مرت على وجهها، فقال:

- حين كنت ليليان، كنت أكثر سعادة . . أليس كذلك؟ مع أن هذا لا يشكل فرقاً بالنسبة بالنسبة لبارني . . فقد كان يعرف من أنت منذ البداية .

سألت دون إرادة منها:

- وكم يشكل هذا فرقاً بالنسبة إليك؟

نظر إلى ذراعها:

- ليس كثيراً . . الآن . . الجرح نظيف تماماً . ابقه مغطى ولا تلعمي التنس غداً . . على فكرة، شكراً للطفك مع فلورا . . مع أنه واضح أنك لا تحببها .

- هذا غير صادق، ولا متصف.. أنا لا أكرهها.. هناك أشياء فيها لا أفهمها، لكن لا شيء غيره.

- في هذه الحالة، قد يسعدك أن تعرفي أن كل شيء ينقلب إلى ما يرام بالنسبة لها. في هذه اللحظات، تحصل على أول عطلة حقيقية لها في حياتها، في فندق «مونينغ» وتمتع جيداً. وسأخذها معي إلى «بيفوانغ» غداً. اشتدت عضلات عنق تامارا، واضطرت إلى الانتظار حتى تسترخي قبل أن تقول بصوت جاف خشن:

- أنا متعبة أكثر مما كنت أظن.. شكراً للإسعافات الأولية، ولا تزعج نفسك بإرسال صينية طعام لي. سأتناول القهوة فيما بعد.. أسمح أن تقدم اعتذارى للسير همفري؟

فتح الباب، وأحنى رأسه.. ثم استدار إلى السلم دون أن ينس بكلمة. دخلت تامارا إلى غرفتها لتستند إلى الباب.. بد تستند إلى قلبها الخافق بشدة، والأخرى كانت على الخشب البارد المدهون. كانت تعرف أن جيرالد يجد فلورا جذابة، وحتى منذ وقت كانت تعرف باقتناع فلورا أن جيرالد يحبها. وها هو الآن يخرج إلى العلن، وقد لا يطول الوقت قبل أن يعلن خطوبتهما.. على أي حال، لا بد أنه هو الذي نقلها إلى الفندق، ولرجل مثله هذا بحد ذاته إعلان له مغزى.

سمعت دقاً على الباب، متوقعة خادماً قالت بائسة:  
- أدخل.

لكنه كان جيرالد يحمل لها شراباً.

- إنه كوب حليب ساخن.. أعرف أنك لا تحبينه، لكنه سيفيدك. وسيأتيك جوزيه بوجبة خفيفة، وأريد وعداً منك أن تأكلي.  
ركع أمام السرير ليخلع لها حذائها وينفض الرمل عن أصابعها، ويدس لها الخف، فأحست بإرادتها تتخدر، حين وقف وضع الكوب في يدها: هيا اشربي.

لامست الكوب بشفتيها وأبعدته.. إنها تشعر أفضل حالاً الآن. أكثر هدوءاً وأبعد عن الانهيار.. وتمكنت من أن تقابل نظرتها، وأن تقول بثبات

وقلبها بنقل الرصاص في صدرها.

- أنا أسفة إذا بدوت لك غير ممتنة. لكنني لا أقصد هذا.. فقط.. أن صداقتنا لم تكن صداقة محظوظة.. أليس كذلك؟

- كان يمكن أن تكون محظوظة لو أنك كنت صداقة. لن أتشاجر الآن معك.. لكن يجب أن أعترف أن ما أحببته كثيراً في أول ليليان ميلوز عرفتها، يبدو مفقوداً في تامارا فليبتشر الحالية.. وأظنني أعرف تماماً السبب.

استدار وخرج يقفل الباب وراءه بهدوء قتال. في أعماقها كانت تعرف أنها والمفوض العام لن يلتقيا بعد الآن على أساس صداقة.

وفي الصباح التالي، كانت تبدو بيضاء نحيط بعينها هالتان سوداوان دليل الإرهاق.. ومن الغريب أن ليليان كانت كذلك دون لون، لكنها كانت تضحك كثيراً.. لقد عاد الكابتن سمولود إلى الدائرة ونسيت ليليان كم هو غبي.. وكيف كان يوم تامارا مع المساعد بالأمس؟

مر بهما بارني في الممر تحت التراس.. ورفع رأسه وتمنى لهما صباحاً سعيداً.. ولا مجال للخطأ، بأن شخصاً ما.. وتامارا واثقة تماماً أنه لم يكن السير همفري.. قد أعطاه درساً لا ينساه.

توصلت تامارا إلى استنتاج كئيب، بأنه لن يطول الوقت كثيراً قبل أن يصبح التيار التعميس الذي يلف المقر.. أمراً لا يحتمل أبداً.

\*\*\*

- لقد منعنا من الخروج في النهار .  
- منعكما من البقاء على الشاطئ والجلوس في الحديقة . ونزهة في  
السيارة لن تضر كما .  
- سيكون هناك برغش .  
وقف قائلاً :

- ليس أكثر مما هو هنا يا عزيزي . . تعال معي إلى المكتبة بعد نصف  
ساعة لأعطيك الرسالة والتعليمات وابتسم .  
حين ذهب السير همفري ، وقف بارني متوتراً قرب الباب ، وقال :  
- لدي بضعة أشياء أنهيتها قبل أن أتمكن من الذهاب . . هل ستكونان هنا  
حينما تحضر السيارة ؟

ردت ليليان بصراحة : أنا لست ذاهبة .  
نظر بارني إلى تامارا ، وكان وجهه الصغير الصارم ، متعباً ، لكن العناد  
واضح حول فمه . . فهزت رأسها قليلاً . فاستدار إلى ليليان ، وقال :  
- بالطريقة التي تتجنبيني فيها ، قد يظن أي إنسان ، أنني مصاب  
بالطاعون . . أو أنني أخفتك .  
فردت قائلة :

- لا بد أنه الطاعون . . فأنا بالتأكيد لا أخاف منك .  
- لا يمكنك تحمل البقاء هنا ، دون أن تفعل شيئاً . . أيمكنها هذا يا  
تامارا؟ قد يستغرب والدك إذا صممت على . . التصرف وكأنني سم من نوع  
ما . . لو عين شاباً آخر ليأخذك إلى محطة الأبحاث لكنت قبلت . . أليس  
كذلك ؟

- لست مجبرة على فعل شيء لا أريده .  
لمعت في عيني بارني إشارة خطيرة ، فسارعت تامارا متدخلتة :  
- لقد تمتعت بالرحلة إلى هناك من قبل . . ثم ، بارني على حق . . إذا  
استمررت في صده هكذا سيلاحظ السير همفري ويشاءل عن السبب . . ولا  
يمكن أن تقبلي بأن يظن والدك أنك نصف واقعة في حب بارني . . أتريدين  
هذا ؟

## ٨ - على خديها أزهرت ورود

خيم جو ساخن يقطع الأنفاس والنبض على يولاني . . بين حين وآخر  
كانت نهب ريح حارقة ، تكس الرمل عن الأرض وترفعه إلى السماء ، تكسر  
غصناً هنا وغصناً هناك . . لكن ما عدا هذا ، كان الجو ثقيلاً وساكناً .  
بقي السير همفري ضمن برودة جدران المقر . . وأصر على أن تفعل  
الفتاتان مثله .

قال بواسيها :

- أسوأ جزء من الحر لن يدوم كثيراً فسرعان ما تنخفض درجة الحرارة  
بعد قدوم العاصفة . . ولن يطول الوقت حتى تنجم الغيوم ، بعدها مباشرة  
سيبدأ انفجارها . . وسيصبح الطقس بارداً وجميلاً .  
ذات صباح ، بينما كان السير همفري يتناول الشاي المثلج في برودة  
غرفة الجلوس الصغيرة ، جاء بارني برسالة . فتحها الحاكم ، وبقي لعدة  
لحظات ينظر فيها مفكراً . ثم قال :

- وابتسم . . هذه مهمة يجب أن تنتهيها أنت . . هل ذهبت مرة إلى محطة  
الأبحاث ؟

- أجل يا سيدي . . في زيارة اجتماعية .

- عظيم . . تعرف الطريق إذن . سأعطيك رسالة وأشرح لك الأمر .  
نظر إلى وجه ليليان الضجر ، المتجه نحو النافذة وقال :  
- خذ ابنتي معك ، وتامارا كذلك ، فهما بحاجة إلى التغيير .  
فاحتجت ليليان قائلة :

شدت ليليان على أسنانها . وبدا بارني مرتبكاً وأحمر الوجه . فتمتم بشيء غير مفهوم . . . وخرج .

بقيت ليليان صامتة لعدة دقائق ثم استلقت إلى الورا وهي تحديق بأظافر أصابعها القرمزية ، وقالت بشيء من البؤس :  
- لم يكن من الذكاء أن تقولي شيئاً كهذا أمام بارني . . . كان يمكن أن تفكري قليلاً قبل التسرع بمثل هذا القول .

أحست تامارا بالتعب من كونها مضطرة للاستمرار في الحذر من ليليان فقالت بصراحة :

- أسفة . لكن يبدو لي في الواقع أن عليك أن تكوني أكثر لطفاً معه . . . ونظراً لكونه ذا مركز مهم عند والدك . فواجبك أن تكوني لطيفة معه .  
- إنه لا يحتاج إلى الإعجاب من كليتنا !

استوت تامارا في جلستها ، لكنها كبحت تهوراً لأن ترد بحدة . ليليان كانت تبدو جميلة جداً ومهمومة ، حتى أن تامارا اضطرت للقول بلطف :  
- أأست عبيدة قليلاً؟ أنت مضطرة للعيش هنا ، مع بارني ، وقربيان من بعضكما طوال الوقت . ولا سبب يوجب أن لا تكوني لطيفة معه . أرجوك ، أخرجني معه اليوم يا ليليان . . . أعطه الفرصة ليعتذر على أي شيء فعله ، وألمك .

- لنفترض أننا بدلاً من هذا تشاجرنا أكثر؟

- قرري أن لا تتشاجري معه . . . بارني صريح وطيب إذا لم تحاولي إثارته طوال الوقت . . . ولن يذكر أنه كان يحبك يوماً . . . إلا إذا أردته أن يفعل .  
سألت ليليان ، وكأنها بعفوية :

- أقال لك إنه كان يحبني؟ أقال هذا . . . وكأنه تغلب على الأمر الآن؟

- ليس بالضبط ، وأعتقد أنك لا زلت مثله الأعلى .

قالت بصوت مرتجف :

- هذا سخيف تماماً! قد أكون مدللة أنانية ، لكنني لا أستطيع تصور أي

رجل يزعج نفسه معي ، بعد أن يلتقيك . . . هل غازلك؟

ردت بنبات :

- لم يفعل ! ولو أنه فعل ، ما كنت لأحثك على الذهاب معه اليوم . . . لأنه ساعتها لن يستحق هذا .

مرت برهة طويلة ، ثم سألت ليليان بلهجة مهذبة :

- ألا يجب أن نستعد؟

ردت تامارا : سأبقى هنا . . . أفضل هذا .

استوعبت ليليان هذا ببطء ثم وقفت تقول دون مبالاة :

- حسن جداً . . . سأحضر قبعتي .

جلست تامارا لوحدها تحس بالصدمة للسهولة التي نجحت فيها خططها . . . لم تكن لديها النية أبداً للذهاب معهما إلى مركز الأبحاث . مشاخراتهما حين تكون معهما ، ستصل على الأرجح نقطة الغليان . وربما لوحدهما ، سيتوصلان إلى تفاهم ودي . . . وفي الوقت الحاضر ، ليليان في مزاج لتقبل هذا . . . مع أن مزاجها نادراً ما يدوم طويلاً . . . على أي حال ، الأمر عائد لبارني .

السير همفري ، لن يمانع أن يذهب معاً . وأفضل خطة هي أن تتجنب مقابله إلى أن يعودا . . . يمكنها أن تأخذ طعام نزهة وكتاب ، إلى الصخور .

جاء خادم لكي يأخذ صينية الشاي ، فطلبت منه تحضير بعض السندويشات . . . وسرعان ما وصلت السيارة وبارني وراء المقود ، فخرجت لتكلمه . لكن ليليان وصلت في نفس اللحظة . . . فلم تقل تامارا سوى :

- يجب أن تعذرني اليوم يا بارني . . . كن لطيفاً مع ليليان . . . ألن تفعل؟

ابتسم بحيرة ، وفتح الباب الأمامي . ودخلت ليليان إلى مقعدها بنشاط لا مبال . نظرت إلى تامارا عبر النافذة ، وعيناها تلمعان بخبث ، وكأنها ستسبب لبارني رحلة عسيرة . . . جلس بارني في مقعده وابتسم لتامارا بسرور .

صعدت إلى غرفتها لترتدي صندالاً مطاطياً هو الأسلم للصخور ، ومن على شرفتها شاهدت السير همفري ، يغادر المقر في سيارة أخرى ، ويقودها السائق . . . لا بد أنه ظنها قد ذهبت مع ليليان وبارني ، وهذا أفضل . فلربما كان متعباً من البقاء داخل المنزل مثلهما .

في الواقع ، كان الهواء أقل وطأة اليوم . . . كانت الشمس نحاسية في

سماة زرقاء لماعة . . والوقوف تحت أشعتها لدقيقة واحدة هو بمثابة دعوة إلى حروق مؤلمة .

اختارت تامارا كتابها ووضعت مع سلة الطعام التي أحضرها لها جوزيه على طاولة الردهة . . كان ثوبها من القطن الناعم البسيط بلون الورد، لن يهتما أن تفسده . . وكانت ذراعها مرتفعتان، وبداها مضغوطتان على قمة قبعتها البيضاء المصنوعة من القش، حين وصل جبر الد .

وعاد الإحساس المؤلم الذي لا يحتمل بخسران جبرالد يزداد حدة . . فتحول من ألم كلييل بدأت تعتاد عليه، إلى شيء حاد مبرح وملح، إلى درجة أنها لو كان لديها الوقت، لقفزت فوق السلم وحبت نفسها في غرفتها إلى أن يرحل .

دخل الردهة بخطواته الرشيق المعنادة . . وتوقف . . لينظر إليها دون ابتسام:

- صباح الخير يا تامارا .

تمكنت من أن ترد بتحفظ:

- صباح الخير . . لقد خرج السير همفري لتوه . أعتقد إلى المكتب .

- أجل . . لدينا اجتماع في الثانية عشرة . لم أشاهدك منذ أيام، فهل هذا

صدفة أم أنك لا تكونين هنا حين أكون؟

- هذا وذاك . أجد أنه يكفيني إتقاء الحر .

- فهمت . . أين أنت ذاهبة؟

- إلى البحر . . ليس إلى مونيغ . . بل إلى الصخور .

- لوحيدك؟

هزت رأسها:

- أرغب في قراءة هادئة في الهواء الطلق .

- يمكنك فعل هذا هنا .

- هذا صحيح . . لكنني هذا الصباح أفضل البحر .

رمقها متفرساً بنظرة ناقبة . . شحوبها، ثبات ابتسامتها، سلة النزهة على

الطاولة، والكتاب . . وقال:

- كنت أعلم أن السير همفري لن يكون هنا . لكنني جئت لأقول لك ولللييان إن هناك إعصار يتجمع . ليس هناك معلومات رسمية من محطة الأرصاد بعد، لكن مما لا شك فيه أن إنذاراً سيصل في القريب العاجل . . لذا لا يمكنك الخروج يا تامارا، فالأمر خطير .

- لكن السير همفري خرج .

- سيعود ساعة الغداء . . لكن أنت . . واضح أنك تنوين قضاء عدة

ساعات على البحر .

- لا تبعد المسافة أكثر من عشرين دقيقة سيراً على الأقدام . . وسأعود

فوراً إذا هبت الريح .

ردبخونة مفاجئة:

- لو هبت العاصفة وأنت أسفل الصخور يا صغيرتي . . فإنك وبكل

بساطة لن تعودى أبداً . . فليس لديك أدنى فكرة عن شراسة الإعصار لذا لن

تخرجي!

كانت غطرسته أكثر مما تتحملة . واقع أنه قادر على الوقوف هناك،

ينظر إليها هكذا، يأمرها بما يشاء دون أثر لابسامة أو رجاء . . ملأ نفسها

بعدائية مفرطة . . ووقفا بصمت طويل . . ثم قال بلهجة حادة:

- أنت عنيدة، لأنني أنا من يطلب منك الحذر . . ولو كان لي أن أفذما

أريد، لأدخلت في رأسك مشاعر جيدة بالقوة . .

ردت متحجرة: أنا واثقة من قدرتك .

ساد صمت مشحون بالسخط مرة أخرى . . ثم قال:

- لقد تأخرت . . يجب أن أذهب . . أرجو أن تفعل ما قلته لك . هناك

أعاصير بدأت جنوباً . . وهي تتحرك في هذا الاتجاه . كل الدلائل تشير إلى

جو أعاصير خلال الأربع والعشرين ساعة القادمة . . فلاجل الله . . لا

تخاطري لمجرد أن تتحديني . . أعرف أن هذا ما تشعرين به، لكن لا تفعلني!

لو أنه بقي دقيقة أطول، وأبقى تلك الرنة الحساسة في صوته لاستسلمت

دون قيد أو شرط . كل عصب فيها كان يتوق لأن يطعمه، الآن وإلى الأبد .

لكن دون أي إشارة، استدار فجأة وغادر المنزل . وانطلقت سيارته

مبتعدة . كانت تامارا متوترة وحجرتها جافة . انتزعت قبعتها وأخذت  
تأرجحها بتزق بين أصابعها ، وهي تخرج إلى التراس ناظرة إلى السماء .

لم يكن هناك سوى تلك السحابة البيضاء ، والنسيم الخفيف . ولا شيء  
خطير حول الشمس كذلك . لم يكن هناك أحد من أهل الجزيرة يسير على  
مدى مسافة نظرها . لكن القليل منهم يميل إلى الحركة في مثل هذا  
الموسم . وإذا كان السير همفري آمناً حتى وقت الغداء ، فلا ضرر من  
التمشي حتى الصخور . بنهور . حملت الكتاب والسلة الصغيرة ، وضعت  
قبعتها على رأسها . وخرجت .

ليليان ، في هذه الأثناء ، كانت قد قررت أن تكون مرحة : وهذا أمر كان  
بارني شديد الامتنان له ، بالطبع في البداية كان حديثهما خفيفاً دون هدف  
محدد . لكن لو كان في نفس بارني أي بأس أو خيبة أمل ، لرفض أن  
يظهرهما . فليس من الحكمة ، في هذه الرحلة ، أن يذكر ليليان بأنه دعاها  
بعديمة الوفاء وعديمة الشفقة .

حين كانا يقتربان من مركز الأبحاث . قال لها :

- أتذكرين ذلك الباص الصغير الرهيب الذي استعمرته لإجازتي في انكلترا؟

- أعتقد أنه لا زال صالحاً للسير؟

- لا بد من هذا ، فالأمر كان منذ سنة فقط .

- لكن السنة زمن طويل .

- وهل بدت لك هذه السنة . طويلة؟

- ردت بمرح ، كي لا يضبطها في شيء .

- ليست أطول من غيرها . كانت مثيرة لدرجة أن وقتنا في بولاني مر

بسرعة . في البداية كانت مزحنتنا الصغيرة .

- التي كانت ستكلفني وظيفتي !

- ثم عودة أبي المنتصرة بعد مغامرته . صحيح أن الوقت يمر مضجراً

الآن . لكن من المؤكد حصول أشياء أخرى في مكان كهذا . هل أنت

سعيد هنا يا بارني؟

رد بحذر : بما يكفي . . . وأنت؟

- أنا دائماً سعيدة . فلقد تعلمت أن فن الحياة أن تعيش للحاضر فقط .

نظر إليها بسرعة ، ثم قال بجرأة :

- لقد رأيتك أكثر سعادة مما أنت عليه هنا في بولاني .

ضحكت :

- كنا نبدو شخصين مختلفين ونحن في انكلترا . . أليس كذلك؟

المشكلة ، أنك لحظة تظهر هذه الأيام أصاب بالتوتر . لكن تامارا تقول إن

عليّ أن أكون لطيفة معك ، لأجل أبي . والغريب ، أنك مساعد جيد له .

- وما الغريب في هذا؟ أنا في الخدمة الحكومية منذ خمس سنوات ،

ولكانوا يطردوني لو لم أكن جيداً .

ردت بحلاوة :

- وهذه قناعة تامارا كذلك . إنها متفهمة جداً .

قال متسرعاً :

- تامارا هي كل شيء أنت لست عليه .

ردت بحدة وعيناها تلمعان بقسوة :

- كم هذا ذكاء منك . . كنت أتمنى أن لا يلاحظ أحد هذا .

لحسن الحظ ، كانا يسيران بين صف طويل من الأشجار العالية ، تقود

مباشرة إلى مركز الأبحاث . لذلك لم يكن هناك وقت لقول المزيد .

كان بارني يهتم بتحضير السيارة للعودة ، حين جاء الإنذار بوصول

الإعصار . . على الفور ارتفع حاجباه الكثان بتقطعية قلق . وسأل البيطري :

- أتظن أننا يجب أن نرحل؟ يمكنني الوصول في أقل من نصف ساعة .

كان الرد :

- على الأرجح ستفعل هذا بسهولة . . لكن يجب أن نخبر الأنسة ميلوز .

فضلت ليليان الانطلاق فوراً . . ففكرة الحجز حتى اليوم التالي في مركز

الأبحاث بالنسبة لها أمر يبعث على الغثيان . . وكما فعلت تامارا في وقت

سابق من النهار ، تفحصت ليليان السماء والعوامل الطبيعية ، لتجدها بعيدة

عن التخويف . . صحيح أن السماء بدأت تظلم ، لكن لم يكن هناك ريح

بعد . . وأعطت رأيها أن هناك الكثير من الوقت قبل العاصفة . هكذا لوحا

لضيقيهما مودعين .

كانا قد ابتعدنا ثلاثة أميال فقط عن المركز، حين ظهرت أول بوادر الإعصار لتضرب السيارة الرئاسية وترسلها مندهورة إلى حقل قصب سكر حديث النمو .

المفاجأة المذهلة أبقتهما معاً دون قدرة على الكلام . لكن بارني استعاد رباطة جأشه أولاً، وقال بصراحة :

- لقد أصابتنا . . . والآن لديك حقاً ما تكرهيني لأجله .

- أنا من دفعك إلى المجيء . . . هل هذا هو الإعصار؟ أليس غريباً . كيف رفع السيارة! وباللسماء . . . ما هذا الصوت . . . إنه مثير!

انضم الرعد إلى هدير الرياح، وأخذ نور النهار يتلاشى خلف نور شاحب قرمزي تخرقه بين الفينة والفينة أسواط من البرق . وضع بارني تروس السيارة: نبي وضعية الرجوع، وضغط على دواسة السرعة . فدارت الإطارات . . . لكن السيارة بقيت حيث هي . . . مغروسة في التراب الناعم . فضرب المقود بقبضته غاضباً وقال :

- لن نستطيع الخروج من هنا دون مساعدة، ولا أستطيع تركك والزجاج متناثر من حولك إلى أن أجد من يساعدنا .

- بالطبع لا نستطيع . . . نحن في هذا معاً . سأذهب معك .

فتح الباب بقوة . . . على الفور كاد الهواء ينفد من رثيته . وبطريقة ما، أكمل خروجه واستدار إلى جهة ليليان . . . كان متعباً جداً لا يستطيع الكلام . وكان قلقه عليها بمثابة حبل يشد على فؤاده .

لحقت به وسرعان ما التفت ذراعه حول كتفها، وجعلها تسير معه فسارا مترنحين، يقذفهما الهواء عن الطريق مرة بعد أخرى، تحركا بينزلان المنحدر . . . كان يعرف أن هذه هي البداية فقط وأن الإعصار الحقيقي قادم . كان يستطيع أن يرى الساقية عند أسفل التل، وماؤها مرتفع متدفق . . . فعما قريب سيطنفي على الطريق، ويجعل السير فوقها مستحيلاً .

ركضا آخر عشرين ياردة، ودونما مقدمات دفعها إلى أول كوخ من قصب البامبو . . . للحظات، وقفوا وهما يشهقان، محدقين ببعضهما . ثم

لاحظنا أن الكوخ فارغ . . . ليس فيه مفارش نوم ولا أوعية للطبخ . فقال بخشونة :

- هذا الكوخ ليس آمناً . . . لقد أخلاه ساكنوه . . . لا نستطيع البقاء هنا . . . يا ليليان .

ثم، وهما ينظران وليليان إلى جانبه ملتصقة به سقطت شجرة ضخمة على الكوخ المجاور، على بعد خطوات قليلة . . . لتحوطه إلى كومة «بامبو» محطمة، وسعف نخيل متناثرة . وأحس بليليان ترتجف، ثم أحس أنها تبتعد عنه .

وفي اللحظة التالية كانت قرب الشجرة التي سقطت، ترفع البامبو المحطم، تشد أغصان النخيل القوية، والتي كانت سقفاً للكوخ . فظن أنها جنت . . . فركض ورائها يشد بفستانها الأزرق الذي التصق بجسدها .

- ليليان . . . ابتعدتي أيتها الحمقاء . . . قد تقع شجرة أخرى . . . لا بد أن كل الأشجار هنا مهترنة . . . ولهذا السبب كل الأكواخ مهجورة .

- كان هناك شخص في هذا الكوخ . شاهدت حركة . . . ذراع .

عملت باندفاع بقدر ما مكنتها يداها . . . لكن قوتها كانت خارقة . . . فأخذت تنتزع الأغصان، إلى أن انكشف لها وجه رجل مليء بالعرق . . . كان بارني إلى جانبها يتحسس جانب الرجل، وهو يشد بكل قوته جذع الشجرة ليجرهما ولكنها كانت وكأنها مربوطة إلى فريق من الشيران .

- يجب أن ننتقده يا بارني . . . يجب!

رمتها الرياح فجأة، لكن في ثوانٍ كانت تقف مجدداً تشد بقوة وتدفع . . . بارني كان إلى جانبها . . . ولم يشعر طيلة حياته أنه كان أعجز منه في تلك اللحظة . نسي أن ليليان هي ابنة الحاكم، وأنه إذا لم يعد بها إلى المقر سالمة، فقد يطرده بسهولة من عمله . . . وحتى خارج السلك كله . نسي كل شيء ما عدا أن هذه هي المخلوقة المرتفعة الروح الشجاعة التي كان دائماً وفي أعماق أصماقه، يعرف أنها موجودة تحت واجهة جميلة .

امتدت أصابعه إلى نبض الرجل . . . وقال بأسى : إنه ميت يا ليليان .

جمدت . . . وشعرها يتطاير في الرياح، ذراعها مكتوفتان وبداهها

تمسكان كتفها بيؤس جاف . . ثم أشارت بإصبع مرتجف، وقفزت فوق جذع الشجرة لتركع على ركبتيها تصيح :  
- أنظر . . إنه . . طفل !

كانت تبكي وتضحك، تنزع الشظايا والأخشاب التي تخفي طفلاً أسمر البشرة، مذهول النظرات، لا يزيد عمره عن سنة . . وبالرغم من كل هذه الأصوات، فالطفل لم يصب بأذى، ولم يكن حتى ممتعضاً، بل كان يفتح فمه وكأنه يصيح ابتهاجاً، المسكين الضعيف، حملته ليليان بين ذراعيها، بغطاء الأغبى، قالت مرتجفة :

- على الأقل أنقذناه يا بارني . . لو لم تأتِ لمات من الإهمال .

فيما بعد، لم يستطع بارني تذكر ذلك اليوم دون غصة تتصاعد إلى حلقه . كان دائماً يذكر كل تفصيل . . الريح الضاربة العاتية، قطرات المطر الضخمة التي كانت تنهمر عليهما وهما يعودان صعوداً إلى التل، وسط نصف عتمة تقطعها أسواط البرق . وليليان، الحبيبة، تحتضن الطفل وتحميه، بينما هو بفعل ما بوسعه لحمايتهما معاً من أعنى العواصف . . وإذا بشاحنة من مركز الأبحاث تتقدم نحوهما . . فلقد خرج المشرف العام لنجدهما في أكثر المركبات ثقلاً لديه .

ويذكر تماماً جلوسه داخل الشاحنة المغطاة وليليان قبائه ووجهها الجميل المبلبل بالدموع، أكثر جمالاً مما مضى، تبسم له من فوق الرأس البني للطفل . . وأنه أحس بالخسة حين انحنى ليقبل خدها الذي كان دبقاً . . كل ما قالته له بخفة كان :

- ألن يصاب أبي بصدمة لو رأني الآن؟

لكن ما حدث أن السير همفري لم يكن قلقاً جداً على ليليان . فقد كان في المكاتب الحكومية حين وصل التحذير الرسمي بالإعصار . وأعطى التعليمات الفورية أن تصل المعلومات عبر الهاتف أولاً إلى مركز الأبحاث . . ولم يخبره أحد أن محطة الرصد الجوي كانت تحاول لساعات الاتصال «بمونينغ» . . وعاد إلى المنزل للغداء مسروراً لأن الطقس أخذ يتغير . .

وشمر بالامتنان لقبول جيرالد بالبقاء معه للغداء . . مؤخراً ومنذ عودته من «فيلون» كان الحاكم قلقاً بشأن جيرالد . . فقد كان يعمل بجهد أكثر مما يجب، ولا يبدو أنه سعيد بهذا .

على أي حال، كان إقناعه بالبقاء للغداء أمر جيد . . مع أنه لم يحتج إلى كثير من الإقناع . .

كان هناك شبح يتسلل إلى السماء، والنخيل يلوح بغضب مفاجيء . ووقف جيرالد بسرعة . . يقول فجأة :

- أعتقد أننا يجب أن نتصل فوراً بمركز الأبحاث للتأكد من أنهما لم يغادراه .

- حسن جداً يا بُني . . هيا افعل . لكن لا داعي للقلق . . قد تصرّ ليليان على الخروج إلى العاصفة، لكن وايتمور سيتردد، وتامارا حذرة . أضف إلى هذا، هناك نصف دزينة من العزاب في المركز، ولن يستعجلوا إرسال الفتاتين .

قال جيرالد، الذي بقى أده أمام رئيسه دون أي شائبة حتى الآن :

- ما كان يجب أن تدعهما تذهبان .

نظر إليه السير همفري بمرح خفيف :

- أيها الشاب العزيز . . أنا أرسلتهما . . كانتا ضجرتين . . وفكرت أن

من اللطف لثلاثة شبان السفر معاً . . أنا لا أعرف كثيراً بأحوال الطقس . . في الواقع إنذار الإعصار جاء مفاجئاً لي . . فلم أتوقع أكثر من حدوث عاصفة هذا المساء .

دس جيرالد يديه في جيوبه . . ثم تقدم إلى الهاتف . . الذي استغرقه سبع دقائق للاتصال بمركز الاتصالات الحكومي وحين أعاد السماعه مكانها بحدة كانت شفته بين أسنانه .

قال الحاكم منسائلاً :

- أقدر لك قلقك . . لكن عليك بالصبر . الاتصال بمركز الأبحاث لن

يتم قبل نصف ساعة . . ولطالما قلت ان من الأسرع الذهاب إلى هناك .

على ذراعه . . دون كلمة منه ، ارتج الباب الرئيسي ، وهدر الرعد مخفياً وقع أقدامه . .

\*\*\*

استفاقت تامارا على هدير الأمواج التي تصم الآذان . . قبل لحظة ، كانت تنام نوماً مخدراً من شدة الإرهاق . وفي اللحظة التالية كانت تجلس مستقيمة ، وعيناها متسعان رعباً وهي تراقب البحر المتلاطم الأمواج يرتفع ليسد المنظر عن فم المغارة . كان الوقت وكأنه الليل . . بدا المحيط في أوج غليانه ، رمادياً بلون البارود السائل ، مثله مثل السماء . . ولم تصدق ما ترى . كان كل شيء هادئاً ، حين شقت طريقها حول الصخور إلى الرأس ، باحثة عن البرودة داخل أحد الكهوف . . ثم جلست فوق الرمال المرجانية الناعمة في مؤخرة الكهف . حاولت قراءة الكتاب الذي جاءت به . لكن ، كانت تمر حواجز غير سعيدة بين بصرها وبين الكلمات المطبوعة وكان لا بد لها أن تسأل نفسها : ماذا سأفعل بحق السماء ؟

لم يكن لديها رد قاطع على هذا السؤال . يمكنها أن تنظاها بأن الطقس هنا لا يلائمها وتقع السير همفري بإعادتها إلى بلادها .

تراكمت الهموم والآلام في قلب تامارا فأثقلته . . دون أي مقدمات ، استلقت على الرمل الطري الناعم ، تحديق لحظة في سقف الكهف الرطب ، ثم انزلت إلى عالم النوم .

العودة إلى الحياة في عالم مظلم مهدد مخيف ، والأمواج تقفز على الصخور لارتفاع ثلاثين قدماً ، لتصل رذاذاً إلى السماء ، كان كمن يخطو إلى نوع من الكوايبس . . جمعت شتات نفسها ، ووقفت تتحرك نحو مدخل الكهف . . ساعتها فقط ، أحست بالريح التي تتمزق فوق الصخور ، وبشدة كثافة الغيوم التي كانت تنفجر بالبرق الذي يشقها إلى نصفين .

مع ذلك ، لم تكن خائفة . . قلبها كان أثقل من أن تعترف بتعب جسدي . رأت أن البحر قد ارتفع أكثر من العادة ، وعرفت أن عليها الخروج من الكهف قبل أن تملأه الموجات المتكسرة . .

- أتمنى لو أستطيع التأكد من أنهم سيبقون هناك . . في مأمن .  
كان رده متوحشاً . . وتحول لونه إلى الأحمر القاتم . . لعدة لحظات ،  
نظر إلى الحاكم وكأنه لا يراه . . ثم سأل بصوت أجش :  
- هل أنت واثق تماماً أن تامارا ذهبت مع ليليان ووايتمور ؟  
- طبعاً . . وأين يمكن أن تكون ؟  
- أتعرف تماماً الوقت الذي غادروا فيه ؟  
رفع الحاكم حاجباه .  
- سيبقون هناك للغداء يا جيرالد . .  
- أحاول معرفة ما إذا كانت تامارا قد ذهبت معهما أم لا ! هل ذهب قبل أم  
بعد الاجتماع ؟  
- أوه . . قبل . . حوالي الحادية عشرة والنصف . . سمعت السيارة . .  
لكنني لم أرها .  
لمعت عينا جيرالد كالقولاذ :  
- إذن ، تامارا لم تذهب معهما . . فقد رأيتها هنا ، بعد أن غادرت أنت  
المقر إلى الاجتماع . . كانت ستذهب إلى الصخور . .  
توقف . . وكل كيانه متوتر ، وعضلة تتحرك في زاوية فمه . . وقال من  
بين أسنانه :  
- طلبت منها أن تبقى هنا .  
- من غير الحكمة أن تطلب من امرأة جيرالد . . من الأسلم أن ترجوها  
إذا أردتها أن تطيعك . . لكن يمكن أن تكون مع السيدة ماكتافش أو السيدة  
كاويل ، لماذا لا تتصل بهما ؟  
رد جيرالد بهدوء ، وعيناه ضيقتان لامعتان :  
- لا . . لقد ذهبت إلى الشاطيء . . لدي إحساس أنها فعلت . . لكن  
حين قلت أنت إنها مع ليليان . .  
لم ينتظر إنهاء قوله . . وأمام ذهول السير همفري الكامل خرج إلى  
الردهة تاركاً باب غرفة الجلوس مفتوحاً ، وقفز السلم إلى فوق كل ثلاث  
درجات معاً . وعلى الفور تقريباً عاد إلى النزول . . ومعطف واق من المطر

خرجت من الكهف لتواجه عصف العاصفة، يداها متشبثتان بالصخور .  
كاد الهواء يخرج من رثيها فتختنق . . فمالت بكل ثقلها على الصخور . .  
وشهقت عدة شهقات ذعر . . ثم أحست أن أعصابها بدأت تستجيب لإرادتها .  
كان الكهف أعلى بكثير من مستوى المحيط . ونعرف أنها إذا نسلقت  
إلى فوق قليلاً ستصل إلى العشب المرتفع والشجيرات المنخفضة التي تكسو  
الرأس . . صحيح أن الرأس بقعة شديدة التعرض للخطر خلال الإعصار، إلا  
أنها فوق، قد تتمكن من الاستلقاء مسطحة على الأرض وتجر نفسها عن  
الحافة . . لو أنها فقط، تتمكن من الوصول .

التصقت خصلات شعرها المبلل بوجهها، أطرافها أخذت تؤلمها من  
جهدتها لتحمل قوة الريح التي لا تلين، مع ذلك كان عليها أن تتحرك، وإلا  
فستفقد الوعي . تمسكت بالافريز الصخري إلى يسارها، وبطريقة ما تمكنت  
من جرّ نفسها إليه . . الآن إلى التالي . . والذي يلي . . أصابعها انزلقت بشكل  
خطر فوق الصخر المبلل . . فتجمدت حتى الموت من شدة الخوف،  
وبمعمجة تمكنت من تثبيت أقدامها .

لا فائدة . . فمتحدر الرأس يبدو بعيداً بعيداً وكأنه الأبد . وليس لها  
الشجاعة لتأرجح من صخرة إلى صخرة، وفوق دوامة المحيط والبحر  
الجائع في إعصار استوائي .

قلبا لم يقفز حين ظهر جيرالد، بل إنه كاد يتوقف عن الخفقان . وكأنها  
أصبحت معلقة في الزمان، دون حياة . حين عاد قلبها إلى خفقانه كل  
أحاسيسها كانت مهتاجة . . ولا بد أنه شاهدها، فقد أخذ يشق طريقه إليها . .  
لكنها أرادت أن تصيح به أن يأخذ وقته، أرادت أن تبعد عينيها عن مراقبة ذلك  
الجسد الرشيق، في القميص والبنطلون، ومن خلفه البحر الأسود  
والصخور .

أصبح الآن على مستواها تقريباً، لا يبعد أكثر من عشرة أقدام . رفع رأسه  
إليها وهز شعره المبلل يبعده عن جبينه، وشاهدت وجهه، نحيل أسمر،  
وجامد بشكل مخيف . جذب نفسه لآخر مرة قبل أن يصلها، وقفز إلى حيث  
تقف .

أحست بضربات قلبه ثقيلة رتيبة . . أنفاسه عميقة حادة . . وفي لحظة  
إذلال كامل ويأس، أدارت رأسها عنه وضغطت وجهها إلى الصخور .

صاح، بخشونة، قد يكون سببها الإجهاد:

- لا ترتجفي . . سنخرج من هذا معاً . . أتخسرين بالبرد؟

ما هذا السؤال الذي يسأله! كادت تنفجر بضحك هستيري . . الرعد  
ينفجر . . والبرق يلعب . . والريح المجنون يقذفهما ليصقهما بالصخور . .  
وها هو يريد أن يعرف ما إذا كانت تحسن بالبرد!

أدارت وجهها إليه مجدداً . . وظنت أن ذراعه اشتدت حولها . . فقالت:  
- ليتك ما جئت إلى هنا يا جيرالد . . الآن نحن اثنان معرضان للخطر . .  
وكان واحد يكفي . . قل لي بالضبط ما أفعل، وسأفعل .

قال وفمه قرب أذنها:

- تحركي معي . . تماماً كما لو كنت . . جزءاً مني .

في ظروف أخرى كان يمكن أن تبسم ساخرة . . لكنها الآن منهمكة في  
تنفيذ أوامره وكأنها الطفلة، وتتصرف على هذا الأساس . . أبقى ذراعاً واحدة  
حولها، لكنها أبقت يديها متحررتين، إرادتها فقط تطيعه ألياً . . تحركا إلى  
فوق في سلسلة من الخطوات البطيئة المتعرجة . . فجأة رأت العشب،  
وجذوع الموز البري الضخم، وما هي إلا دقيقة، حتى كانت مستلقية على  
وجهها في حمى الجذوع الضخمة، تحس بالبرودة حيث كانت ذراع جيرالد  
على ظهرها، ضغطت عينيها على ساعدها، وشهقت أنفاساً قوية وهي  
تحاول ملء رثيها بالهواء . . أحست أنه يمسك كتفيها ليلويها إلى جانبها،  
فرفعت نظرها إلى عينيهِ السوداءين .

- لن نستطيع البقاء هنا يا تامارا . . فالمطر الآن يبدو وكأنه لا بشكل  
خطراً . . لكنه سرعان ما يصبح رهيباً . . هل استعدت أنفاسك؟

هزت رأسها بالإيجاب، فأمسك مرفقها وساعدها لتقف . شدها إليه  
بقوة كي لا ترميها الريح . . ونظر إلى عينيها، ثم حول نظره بعيداً وكأنه لم  
يجد فيهما ما يريد . قال بصوت مرتفع، ليغلب صوت الريح:

- يجب أن نعود إلى المقر . . إنه قريب، تمسكي بي وابقى وجهك مع

الريح، فستمكنين من التنفس بشكل أفضل.

استغرق وصولهما نصف ساعة، مع أن المدة بدت أطول بكثير، قاوما الريح وهما يجتازان العشب المرتفع، ووجدوا ملجأً نسبياً في سباح من الشجيرات المنخفضة. اضطر التركة ليقطعا الحديقة إلى المنزل. أنقذها من الوقوع عدة مرات، وقد اضطر إلى تنظيف ممر لهما كانت تملأه الأغصان بين الشجيرات ليتمكننا من المرور. فأحست بالإرهاك والتمزق. مع ذلك، لو كانت في موقف يمكنها من التفكير بالأمر، لما فضلت مكاناً آخر غير هذا لتكون فيه مع جبرالد. وسط العاصفة.

ركض بها نحو التراس. وحاول فتح الباب الكبير، لكنه لم يفلح. فضغط بقوة على الجرس. كان يحميها بذراعيه. وهو يلعن الخادم بقسوة من بين أسنانه لأنه تأخر في الرد.

لكن الباب انفتح في لحظة، وأدخل تامارا بخشونة إلى الردهة وأقفل الباب ثانية، ووضع له الرجاج.

كان ارتياحها غامراً. ووقفت دون حراك وكل ثقلها تقريباً يسند جبرالد، بينما كانت تقاوم لتهدئة أعصابها والضجيج الذي يصم أذنيها. قال الخادم بقلق:

- سيدي الحاكم قال إن عليّ إخباره حين يعود الرئيس.

رد جبرالد بلهجة جافة غريبة: لا بأس في هذا. سأخبره بنفسه. انتظر ذهاب الرجل وقال لها:

- حين تشعرين بقدرة على التحرك سأساعدك في الوصول إلى غرفتك. كان المنزل كله مقللاً. وهناك نور خفيف في منتصف السلم. والسبب ما، كانت الردهة مظلمة الأنوار، حين رفعت نظرها إلى جبرالد كان وجهه معتماً، وعيناه لا يمكن رؤيتهما، مع أنهما ظلتا محافظتين على بريقهما.

همست تستفهم، بقليل من الخوف: جبرالد؟

رفع يده بعيد شعره إلى الوراء:

- مضى عليّ وأنا أفش عنك أكثر من ساعة. ظننت أنني سأجن. بالكاد أصدق أنك. سالمة.

ضحك ضحكة قصيرة ساخرة:

- لم أرتجف هكذا في حياتي.

من المستحيل أن يكون لديه فكرة كم كانت قبضته تؤلمها، لكنها تمتد أن يؤلمها أكثر. هذا غير معقول. كلاهما، مبتلان، مشعثان، يحدقان ببعضهما وكان أحدهما لم ير الآخر من قبل.

صوت قفل تكتك. شعاع من ضوء صافٍ اخترق الردهة. وقال السير همفري بلهفة:

- أهذا أنت يا جبرالد. وتامارا؟ أشكر الله على عودتكما.

أضاء أنوار الردهة الساطعة. ووجدت تامارا نفسها تقف لوحدها دون سند. فصاح الحاكم:

- يا للسماء طففتي! أنت مشعثة. وأنت أيضاً يا جبرالد. من الأفضل أن تصعدي فوراً لتغيري ملابسك يا تامارا. سأسمع قصتك فيما بعد. جبرالد سأعطيك ملابس أخرى. بكل تأكيد لن تستطيع الذهاب إلى منزلك.

جرت نفسها بعيداً عن جبرالد. وسمعته يقول بسرعة: سأصعد معك! وتمكنت من الرد بوضوح أذهلها:

- أستطيع الوصول لوحدي. شكرًا لك.

قال بالرغم من وجود السير همفري:

- لا تستحمني. فقد يكون خطراً في وجود عاصفة مكهربة. والنزلي على الفور. سأكون في المكتبة.

ثم، صعدت لوحدها السلم، متمنية أن لا تخذلها ساقها الضعيفتين، كانت قرب النهاية حين قال السير همفري:

- من الأفضل أن نصعد نحن كذلك جبرالد. هناك شيء عجيب أريد أن أخبرك به.

تخلصت من فستانها بارتياح قلبي وجففت نفسها. بإقفال باب الشرفة الزجاجية والخشبية، والمصباح ينير طاولة الزينة، كانت بعيدة جداً عن الطبيعة الهادرة. الآن لم تعد ترى البرق، أو تسمع الرعد ولا الضجيج. ومع أن الجو لا زال صاخباً. إلا أنه لم يعد يخيفها.

لم تفكر كثيراً بجيرالد وهي ترندي فستاناً نظيفاً، وتمشط شعرها إلى أن يجف . . مشاعرها كانت أكثر تشوشاً من أن تتمكن من التفكير بوضوح .  
لكن أحاسيسها كلها كانت تعي وجوده في المنزل . . ولا يمكنها إلا أن تحس به . . أحست فجأة بنفس الإحساس الذي أحست به وهي هناك فوق الصخور، حين شاهدته لأول مرة يتسلق نحوها، أحست أنها معلقة، مقطوعة الأنفاس، تنتظر، وكأن قلبها قد توقف عن الخفقان .

لكن، وهي تخرج إلى الممر، وتغلق باب غرفتها وراءها، لم يعد لديها شك في أن قلبها يعمل . . فضرباته الثقيلة كانت قريبة بشكل خانق من حنجرتها . . لن تتمكن من النزول إلى المكتبة . . ليس لديها الشجاعة الكافية .

لكن جيرالد كان هناك في أسفل السلم . أحست به أكثر من أن تراه . . تجاوزته لتدخل المكتبة، وسمعته يغلق الباب . . أضواء خافتة، صينية شاي فوق الطاولة، غيرت قليلاً من الجو الرسمي المعتاد للغرفة . . وغاصت في المقعد الذي قدمه لها منتهدة باستسلام .

ومن الغريب أنها، هي من تكلم أولاً . . تمتعت، لكن دون ثبات .  
- يبدو أن إنقاذ أرواح الناس أصبحت هواية لك، ولست أدري كيف أبدأ بشرك .

- إذن، لا تزعجي نفسك . . أيمكنك تحمل القليل من الأخبار السيئة؟  
السخرية المتجهمة في صوته جعلتها أكثر تصميماً على إبقاء رأسها منخفضاً . . رفعت رأسها، لكن، ليس إلى أعلى من الزر الثاني من أعلى قميصه .

- أخبار سيئة؟ حول من؟

- حول بارني . . لقد خسرتيه تماماً . . تحدث السير همفري مع ليليان في الهاتف . . ويبدو أن أفضل صديقة لديك، قد سرقته منك . . لكنه كان لها أولاً . . أتذكرين؟

سألت بحيرة: أعني أنهما أصبحا خطيبين؟

- تقريباً . . فقد قالت إنها ستزوجه، ولم يكن الحاكم معارضاً .

- هذا رائع .

لكنها لم تستطع إخفاء أنها تتكلم دون مشاعر . لم تكن بعد قادرة على استيعاب وقائع كثيرة . . وأضافت بشيء من الخشونة:  
- لقد كنت على حق، أليس كذلك؟ قلت إنها سوف تزوج شخصاً صلباً، لن يتحمل الكثير من العبث . . وأظنه سيسعدها .  
سأل بسخرية حادة:

- وهل سبب هدوءك، اليأس؟ ألا يؤلمك أن تعرفي أنه يحب ليليان؟  
- لماذا يؤلمني؟ فمن خلالي ذهباً معاً هذا الصباح . . كان المفترض أن أرافقهما . . لكنني تمكنت . .

صمتت فجأة ورفعت رأسها أخيراً إليه: ما الذي . . تحاول . . أن تعرفه؟

كان يجلس على حافة الطاولة، ينحني نحوها، زاوية وجهه قائمة، عيناه حارقتان متفرستان وسأل:

- ألا تحبين بارني وايتمور، ولو قليلاً؟  
- ولا حتى قليلاً . . يعجبني بارني، لكنني كنت أعرف منذ البداية أنه منجذب إلى ليليان .

ضحك . . ضحكة قصيرة أجشة:

- ألهذا كان يسعى إليك في كل مناسبة . . لأنه منجذب إلى ليليان؟  
استخرجت من نفسها بعض الشجاعة . . مع أن الغضب جعلها ضعيفة، وردت:

- أجل . . هذا هو السبب . . حاولت ليليان تجاهله . . لم يستطع الاقتراب منها، وأستطيع القول إن ما كان يعزبه، هو أن يتصادق معي .

- لكنك بدوت متمتعة بصدافته!

- لا سبب يدعو لأن لا أتمتع . .

أحست باقترابه من صورة ما . . غريزيماً، وللدفاع عن نفسها، قفزت واقفة:

- أنت تحاول أن تكون دون أخلاق . . أنا سعيدة لأنهما سيتزوجان . .

ولست مضطرة للبقاء هنا وتحمل سخريتك . إذا كنت تظن أن إنقاذك لي من العاصفة ، يهلك لأن . .

كان إلى جانبها بسرعة ، يمسك معصمها بقسوة كادت تحطم عظامها ، ينظر إليها بشراسة :

- لا تقولي هذا ! لماذا لم تنكري أبداً حين كنت أربطكما معاً ؟  
لأن قلبها كان مستسلماً لجيرالد ، أحست أن من الأسلم أن تسمح له بالاستمرار في شكه بيارني :

- لأنني . . جيرالد أنت تؤلمني !

رد بصوت قاطع :

- أريد أن أولمك . . لقد ألمتني بما يكفي !

وترأخت قبضته قليلاً .

خرجت ضحكة متكسرة صغيرة من حنجرتها . . الآن ، وفجأة ، أصبح كل عصب فيها يحس به . . ويحثها أن تؤلمه أكثر :

- هذا مضحك ! أنت . . تتألم ! أنت لا تتألم . . لا يمكنك أن تتألم يا جيرالد . . أنت دون إحساس ، وظالم جداً . . صحيح أننا أزعجنا خطتك ، ألم نفعل ، لكنك استعدت وعيك بسرعة . . ولا بد أنك هنأت نفسك عدة مرات على وعيك واحتراسك . . كان يمكن أن يكون الأمر سيئاً جداً ، وأنت تظني ليليان ، لو أن قدمك زلت كما يحصل لأي رجل عادي . .

ما تبقى من كلامها اختنق بين شفيتها . . فقد ترك جيرالد معصمها ، وجذبها إليه ، ذراعه مشدودتان حول ظهرها بوحشية جعلت عنقها يميل إلى الأعلى بشكل لا يطاق . . وبدالها أن هذا العناق القاسي ، لن ينتهي أبداً .

لكنه انتهى . . لكنه لم يتركها ، ولو فعل ، لنهاوت . . تعلق به ، مختنفة واهنة الأعصاب ، غير قادرة على التفكير .

قال بخسونة :

- لا تجرؤي يوماً على أن تتحدثي معي هكذا . . بطريقة أو أخرى ، جعلتني أعيش في الجحيم . . لكنني لن أستطيع تحمل المزيد . . حين شاهدتك وأنت هناك ، متعلقة فوق الصخور ، عرفت أننا سنصل إلى هذه

النقطة . . شجار سيكون له نهاية واحدة . عرفت أنني لن أستطيع أن أعاني يوماً آخر من الشك .

كان صوته غريباً . . لا يبدو أبداً أنه صادرٌ من جيرالد :

- كان يجب أن أحصل على الحق في منعك من ركوب المخاطر أنا لا أطلب أن تتزوجيني في الحال . . لكن يجب أن أحصل على وعد منك ، بأنك ستتركين نفسك تقعين في حبي . . وسأفعل أنا الباقي .

هذا جنون بالطبع . . سرعان ما تعود إلى الحياة لتجده قد ذهب ، وتجد الإعصار قد هدأ . . هذا هو السبب . . لا بد أن هذا كله تأثير الإعصار . . من المعروف أن الأعاصير تفعل أشياء غريبة بالناس . . لكن بجيرالد كذلك ؟

همست بحذر : هل قلت . . تتزوجيني ؟

- هذا ما يحدث عادة حين يحب شخصان بعضهما .

أمسك كتفها وأبعدها عنه . . كان شاحباً بقدر ما يمكن له أن يشحب . . عيناه اشتدتا سواداً لشدة عواطفه .

- سنحب بعضنا يا تامارا . . أنا أحبك وأنت . . ستحبيني . . يجب أن تحبيني . . لا يوجد طريقة أخرى . . لا يمكنني العيش من دونك . لقد أفسدت علي متعتي في عملي . . جعلتني أدرك تماماً ما يفوتني في كل لحظة من الوقت الذي لا تكونين فيه قربي . . حاولت الابتعاد عنك ، لكن دون جدوى ، فقد كنت أفكر بك أكثر مما مضى . . تلك الخدعة الغبية لك وللليليان ، أبعدتنا قليلاً عن بعضنا . . لكن يجب أن تقسمي أن تكوني صادقة معي من الآن وصاعداً . . وسنعيش حياتنا . . أحبك . . أسمعين ؟  
هزت رأسها بضعف .

- لست بحاجة للصياح . . صحيح أنني لا أصدق ، لكنني . . أسمع .  
ساد صمت قصير ، ثم أضافت بصراحة لأنها كانت تحس أن الأمر كله غير واقعي :

- أحبك أيضاً يا جيرالد . . لم أكن لأتصور ما يحدث لنا . . لكنني أحببتك .

جعلها تكرر قولها ، وتؤكد له أنها تعني ما تقول ، بعدها عانقها بحب

أكثر، وقسوة أقل.. بعد وقت طويل وهما يحتضنان بعضهما، أعادها لتجلس على المقعد، والنار لا تزال تشتعل في عمق عينيه.. وسألها مبتسماً:

- أكان الأمر مريباً لك؟ لقد انتظرت طويلاً.. هل أصب لك بعض الشاي؟  
- أجل أرجوك.

مرت لحظة الضعف التي أحست بها تامارا، وأحست بالقوة مجدداً.. كما تصبح أبة امرأة حين تفتنح أنها محبوبة.. ابتسمت له وأجابت:  
- سرعان ما سأتمكن من استيعاب كل هذا.. أحس براحة غريبة لأنك تحبني جيرالد.. ارتياح سعيد!

- وهذا أمر رائع.. ولو أنه لا يكفي.  
- أتعلم، كنت متوحشاً مع بارني، ويجب أن تعتذر له.  
وضع مكعباً من السكر في شايتها:

- لن أعتذر.. لقد جعلني أمر بلحظات سوداء كثيرة.. يسير بك في أنحاء «مونيغ»، يريك المناظر، يأخذك إلى أول مباراة بولو.. ثم إلى «ماناي».. كلها كانت امتيازات كان يجب أن تكون لي.. لكنني في البداية كنت مرتبباً جداً.. وبعد أن عادت ليليان إلى هويتها.. كرهننا بعضنا.  
وضع لها الفنجان في متناول يدها.. وأضاف، بحدة:

- كانت مؤامرة جميلة.. أليس كذلك؟ أتمنى لو أنني عرفتها يوم وصولكما.. لكنك سببت لكما الكثير من المتاعب!

أخذ فنجانها وجلس في المقعد الذي قرّبه منها:  
- ما لم أستطع فهمه.. ما الذي أعطاكما فكرة خداعي.. كنت أنا المقصود.. وليس بقية الناس أليس كذلك؟

- أتذكر الآن فيلدرز؟ لم تكن تحبك يا جيرالد. وحسبما قالت، كنت قاسياً أنانياً، ومن المؤكد أنك تخطط لسلب لب ابنة الحاكم، لأنك تسعى إلى زوجة غنية. ليليان الدائمة الشك، رسمت صورة منحرفة لما قد يحدث، لو أن رجلاً رهيباً، لا يرحم، كان مصمماً على أن تكون له.. وفي وقت كنت

أنظاها أنا فيه بأنني ليليان، أزعجها جداً أنني رفضت أن أشجعك.

- في الواقع.. وبعد اعتراف ليليان، كان لدي الانطباع بأنك كنت تشجعيني.. خلال تلك الأيام كنت حذراً عن قصد.. كنت أعرف أنني أقع في حبك، لكنني لم أكن واثقاً منك في بعض الأوقات كنت تربكيني، أتذكرين ليلة التفتيتك لوحدك على التراس؟

هزت رأسها:

- مزقت حاشية روب المنزل.. ولم أجرؤ على إصلاحه.  
- تلك الليلة كانت غريبة.. كنت قد بدأت فعلاً أقلق على السير همفري.. كنت أرسل الرسائل دون تلقي الرد.. حين التفتيتك على التراس، وكنت قاسية فظة، أحسست أنك تلوميني على طول غيابه. ثم دخلنا غرفة الطعام.. وتغيرت.. أصبحت الطف وأكثر تفهماً.. ورغبت بشكل ملع أن أضمك، وأقول لك إنني أحببتك.

ردت بنعومة:

- أتمنى لو أنك فعلت.. لكنك قلت لك كل شيء.  
- أخشى أنني كنت مسروراً فيما بعد أنني لم أفعل. لا أظنني كنت يوماً غاضباً أكثر مما كنت ليلة كشفت ليليان مفاجأتها الصغيرة، لقد حطمت بهذا كل شيء إلى قطع صغيرة. استطعت فهم كيف وقعت بسهولة تحت رغباتها قبل أن نعرف بعضنا.. لكنني كنت واثقاً أنك لو كنت تشعرين بما أشعر به، لما استطعت إخفاء الأمر عني طوال تلك الأسابيع.

نظرت إليه متوسلة:

- هذا أمر لم يكن سهلاً.. لكنني لم أكن واثقة أنك لا تتعمد أن تكون لطيفاً مع «ابنة الحاكم».. أوجب أن نتكلم عن هذا جيرالد؟

وضع الفنجان من يده، وانحنى يقبل صدغها:

- ليس اليوم على أي حال.. ألم يقل لك أحد من قبل إنك جميلة؟ أنت محبوبة.. وأحب ملمس بشرتك، وهذه الابتسامة اللذيذة النصف خائفة في عينيك، لكن لا تكوني خجولة كثيراً. فهذا النوع من الخجل قد يحبط الرجل.

ابتسمت مرتجفة . . ونظرت إلى رأسه الأسود الشعر، وأحبه، أحبت  
اتساع كتفيه في قميص أبيض حريري . . كانت لا تزال مذهولة . . لكن من  
الرائع أن تحبه بنظرة . . بلمسة، ولو أنها لا تزال تشعر بالخجل من لمسته . .  
كانت تعلم كذلك أن يومها الذي هزته العاصفة، جعله جيرالد مثير  
الجمال . . على الأقل، سيصبح كامل الجمال بعد أن تطرح بضعة أسئلة:  
- جيرالد . . أخبرني عن فلورا .

- فلورا؟ ما الذي جعلك تفكرين بها في وقت كهذا؟

- أليست . . مرتبطة بك . . بطريقة ما؟

- تراجع إلى الوراء، ضيق العينين، واثق من نفسه:

- آه . . دليل غيرة صحي . . وهذا ما يفيدك تماماً. ما الذي تريد

معرفة عن فلورا؟

- ألم تكن . . أليست . .

ضحك:

- لم تكن . . وليست . . إنها الآن في «بيفوانغ».

والعذاب الذي اختبرته في هذا اليوم الحميم، بعد تصورها أنها معاً!

- في «بيفوانغ» وهل تركتها هناك؟

- كنت تعرفين أنني سأأخذها إلى هناك . . أخذتهما معاً . . هي وأخاها.

إنهما هناك الآن.

- أوه . .

كانت تنهيدة طويلة سعيدة متفهمة وأكملت تسأل:

- ألم تكن . . مغرماً . . قليلاً بها؟

- لا تكوني بنصف عقل . . أنت فتاة طيبة . . كنت أسفاً عليها . . حين

جاءت إلى هنا، أصيبت بصدمة . . إن أية أخت ستصاب بصدمة حين تجد أن

أخاها يعيش في كوخ من قصب البامبو، ولا يهتم إذا كان عماله يشتغلون أم

لا . . جاءت إليّ وقالت إنها ستقف إلى جانب ريك، لذلك قدمت إليهما

المساعدة التي استطعتها . . لكن ريك يوكسهول رفض أن توقفه أخته على

قدميه . . قد يكون هناك امرأة يمكنها أن تفعل هذا، لكنني أشك .

كانت على وشك أن تقول: كان يمكنها أن تحسن داخل الكوخ وتحته  
على بناء كوخ جديد . . لكن الكلام بسوء عن المرأة الآن بدا لها خيانية . .  
وكانت ممثلة القلب امتناناً لأن مخاوفها لم يكن لها أساس . . مع ذلك  
سألت: ما الذي جعل فلورا تعتقد أنك تحبها؟

اختفت ابتسامته، وضرب الطاولة بقبضته حتى أن أواني الشاي ارتجبت!

- من قال لك هذا؟

- أنا . . من ظن هذا.

ربما من الحكمة أكثر أن لا تقول المزيد . . فجيرالد . . يمكن للغضب

أن يزعجه . . لكنه لم يكن مستعداً لترك الأمر عند هذا فقط:

- فلورا بنفسها أعطتك هذا الانطباع . . أليس كذلك؟ وهذا أحد

الأسباب التي دفعتني لإبعادهما عن «بولاني». طوال الوقت الذي كانت فيه

فلورا هنا لم أستطع إلا أن ألاحظ أنها كانت تبعد كثيراً عن بقية الرجال . .

معي، كانت تلتصق وتفترغ لي كل متاعبها . . كانت سريعة التأثر والألم . .

ولهذا السبب طلبت منك مصادقتها . . كفتاة . . كانت في وضع لا يحتمل . .

أوه . . يا إلهي . . المرأة أثرت عليه دون شك .

تذكرت ذلك الصباح الذي زارت فيه المزرعة ووجدت فلورا تعد

أشياءها . . تلك المخلوقة المتألقة، لا بد أنها أخذت أشياء كثيرة كأمر

مسلم بها . . فيما بعد ستتحدث بهذا مع جيرالد، فتحولت إلى حديث أكثر

أمناً.

- هل تخلي ريك عن إدارة المزرعة؟

- كان مضطراً . . لا نستطيع التساهل مع أمثاله في الجزيرة، وإلا تدفقوا

علينا . . طلبنا من الشركة التي توظفه إرسال مدير جديد وأن تبني له منزلاً

جديداً على الفور . . وكنت محتاراً ماذا نفعل بريك . . لكن في النهاية،

ولأجلك أنت حلوتي، ولأنك أصريت على أن هناك ناحية جيدة في

الرجل . . وظفته كمسرف عام على مزرعة حكومية في جزيرة «بيفوانغ» . . إنه

تحت التجربة لثلاثة أشهر، وتحت أنظار مدير مترم.

- وهل ستبقى فلورا معه؟

هز كتفيه بمرح:

- من يعلم؟ المدير غير متزوج، ولاحظته ينظر إلى فلورا بذهول، نظرات لا بد أنك واجهت منها الكثير منذ وصولك إلى هنا. . . لكن ما من رجل سيجرؤ على النظر إليك من الآن وصاعداً. . . فأنت لي! شدها ليوقفها قريبة منه، ورفع أصابعها إلى فمه بضغطها على شفثيه. . . فأزهرت ورود حمراء على خديها، عيناها سابحتان بكل ما كانت تفكر، ولا تستطيع التعبير عنه.

قال بالحاح:

- سنتزوج قريباً. . . لي الحق بعطلة مدتها ستة أسابيع. . . سنقوم خلالها برحلة بحرية. . . سنذهب إلى سنغافورة، وتستطيعين أن تطلبي مني أثنائاً جديداً من هناك إذا أحببت. أعرف أنك تعتبرين فرش منزلي دون روح. - يمكننا أن نجعل الغرف حميمة دافئة أكثر، دون شراء الكثير. هل هناك إمكانية نقلك من هنا؟

- لن يكون هذا قبل سنة أو اثنتين. . . لكنني لا أستطيع أن أكون واثقاً فتحركي التالي قد يكون الأخير.

- أي. . . الحاكمة؟

ابتسم مماًزحاً: وهل يخيفك هذا؟

- قليلاً.

- لا يجب أن تخافي. . . الجميع سيحبونك، وحين سيكون لدينا أولاد، سيعلق مكتب الأخبار نشرات. . .

احمر وجهها بشدة: جيران!

تراجع رأسه بالضحك، ثم ضمها دون تردد، وقال بجديية:

- أنت حمامة منزلية يا تامارا. . . لكن هل ستمانعين لعدم تمكنا، من مد

الجدور؟

ردت بنعومة:

- لن نستطيع تجنب امتداد الجدور. . . حين نرحل سنأخذ الأشياء التي نحبها معنا. وأنت وأنا سنتمو معاً. . . وهذا لا بد من أن يحصل لمن يحب

حقاً.

قال ساخراً:

- يا لهذه الحكمة. . . هل أنت واثقة أنك تحببيني بما يكفي؟

- بما يكفي لأتزوجك؟ أحبك بكل ما أملك. . . وبكل ما أنا. . .

- يجب أن تتحملي الكثير من حبي.

- سأفعل ما بوسعي لأتحمل.

نظر إليها، حنوناً ساخراً:

- أنا سعيد جداً لأنك تامارا ولست ليليان. . . مرت أوقات كنت على

استعداد أن أضرب ليليان لأؤدبها. . . لكنني لم أستطع أن أنسى أنها هي التي

جاءت بك إلى هنا.

صمت قليلاً وهو يفكر ثم قال:

- سنكون سعيدين يا فتاتي الحبيبة. فأنا أحبك لدرجة أنك حين تضطرين

إلى تجميل وجهك، لن يهمني طالما نحن معاً. . . وسأكون زوجاً متمكلاً!

ابتسمت دون كلمة وهي تصغي لفترة طويلة إلى صخب الإعصار العاني

وهدير الرعد. . . فتأبطت ذراعه وأراحت رأسها. . . سيعجبها كثيراً أن يكون

متمكلاً. . . وبطريقة لطيفة. . . ليس هناك شيء في العالم كله، تريده أكثر من أن تكون ملكاً لجيران الد.

\*\*\*